انتیالاث روح

٨١٣ ,٩٢
آل ٦٥٩ آل عزيز ، فراس
انثيالات الروح / فراس آل عزيز
ط: بغداد : مطبعة جعفر العصامي
٢٠٢٢،
ص ١٣٦ ؛ ٢١سم
١. القصص العربية – العراق . أ.العنوان
م.و
٢٠٢٢/ ١٠٤٧
المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

انتیالاث روح

فراس آل عزیز

عنوان الكتــاب : انثيالات روح
تـــأليـــف : فراس آل عزيز
القيـــــاس : ١٤,٥ سم × ٢٢سم
عدد الصفحات : ١٣٦ صفحة
الإخـــراج الفني : نهلة نشأت الشمري
المصحح اللغوي : سعد مجيد الحمداني
سنـــة الطـــبع : ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢ م
المطبعـــــة : جعفر العصامي للطبع والتجليد الفني
النـاشـــــر : مؤسسة ثائر العصامي
تـــــوزيـــع : منشورات ستيلا بوك

لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع ، أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة كانت (الكترونية) أو (ميكانيكية) أو بالتصوير أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك الا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر.

All rights reserved .No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form by any means, Electronic, Mechanic photocopying, recording or otherwise Without prior permission in writing of the writer or of the Publisher.

ISBN: 978-9922-663-87-6

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٠٤٧ لسنة٢٠٢٢

رغم انها ثاني المستحيلات الثلاث،

كما قال العرب...

إلا أني أومِن،

أن داخل كل منا عنقاء ...

تُبعث من ركام رمادها كلما احترقت.

ثمة صراع نعيشه، لانعلم له مخرجاً، حجر صم عظيم، يقف عائقاً بيننا وبين مفاهيمنا، هوس عقيم، وتساؤلات لا اجابة لها، تيه سحيق، ومنحدر خطير، نحو وادٍ لا قرار له.

تُرى أي قرار نتخذه فيأتي أُكله!

وأي جادة نسلكها يمكن ان تصل بنا الى ما نرجو؟، وأي دعاء نسأل به ربنا لا نحتاج فيه الى هيئة جسدية معينة واللفاظ كتبها السابقون لانزيد فيها ولا ننقص؟

اي خراب نعيشه، وأي فوضى تعصف بنا، فلا بصير يأخذ بأيدينا، ولا صادق ينجينا من مغبة جهلنا،

اختلط علينا الامر، فلا الصح فينا هو الصح حقاً، ولا الاخطاء اخطاء، لا ناصح نجد الامان عنده، ولا دليل نسند عليه ظهور الاستفهامات.

ظاهراً، الانسانية صفة تلتصق بنا كلنا ، وياحسرتاه، كم منا لا يحمل منها الا اسمها.

في تركيا وتحديداً في مدينة يالوفا الساحلية المطلة على بحر مرمرة، شد انتباهي الأمان الذي تعيشه" الكلاب" فأجدها في قارعة الطريق نائمة لا تخشى مستهتراً يقود سيارته بسرعة، ولا عديم رحمة يأذيها، أجدها

باسطة ذراعيها في وصيد المحلات الفخمة، فلا ناهر ينهر، ولا زاجر يزجر، ولا يزيحها من أمام باب رزقه.

سألت صديقي هناك وهو من البلد ذاتها : كيف تعيش كلاب الشوارع بهذا القدر من الأمان والسكينة، لم ارَ عليها أي علامة خوف من بني البشر ...

- فرد عليّ : لان القانون التركي يحاسب من يسئ لها، يحكم بالسجن والغرامة لمن يقتلها ولو بالخطأ...
- ضحكت حينها وقلت له : سيدي لم احدثك عن البشر فذاك تحصيل حاصل إننا نمتثل للقوانين الرادعة، لا تحكمنا قوانين الإنسانية.

ثمة شئ جعل الكلاب تشعر بالأمان!.

الحيوانات عموماً لديها عاطفة فطرية، وقد لاتحتاج لادراك عالٍ لِفهم الانفعالات العاطفية المعقدة، التي من المفترض أننا نمتلكها، اعتقد ان الكلاب شعرت بعاطفة الأمان عندما رأت أن ما يحكمنا قانون "حماية الحيوان من عبثية الإنسان"، لا الرحمة.

لم نُخلق اداة، ذلك لاريب فيه، نؤدي الحركات الجسدية بكل دقة ودون أي تقصير، لم يوجدنا الله لنتعلم الصلاة بأي كيفية كانت، نؤديها بحلول وقتها، او نحمل منهجاً نسير وفق ما كُرس فيه بصورة

ديناميكية لا تحتاج لعقل، أداء الصلاة كلنا نعرفها، اما إقامتها فذاك ما لم نفهمه.

لا اظن كل سائق سيارة قد حفظ عن ظهر قلب قوانين المرور وماذا تعني الإشارات، ولو فرضنا جدلا حدث هذا، فهل يوجد في قانون المرور إذا صادف السائق وهو يقود سيارته عجوز يريد العبور، ان يركن جانباً حسب القانون ثم يأخذ بيده ليسير به حتى يبلغه مأمنه!

قطعاً إن الإنسانية هي التي أوعزت فعل ذلك دون قانون يحكم، أو قائداً يأمر.

كان سيدي الوالد، اطال الله في عمره على ما يحب ويرضى، يأخذني معه ، خاصة وقت الظهيرة في صيفنا اللاهب، إلى النهر القريب منا، نصطاد السمك، كنا نجلس على شاطئه طويلاً، كان يحدثني كثيراً عن الاخلاق، أحفظ عنه نص قاله لي قبل سنين مضت ،

"إن الإنسانية منظومة من القيم الأخلاقية التي نستطيع من خلالها أن نحاور كل البشر دون أن نتكلم، لغة لا تحتاج حروف ولا معانٍ ، تحتاج من يفهمها فحسب".

أصبحت هذه الكلمات مزدرية في مجتمعنا، في وقتنا هذا، فلا الصادق يؤتمن، ولا السارق يخوّن، لا الأبيّ تأبى نفسُه ولا النبيل يسدد نُبله حيث ما يراه حق، وكل يدعي انه يخاف الله إذا مادعته "امرأة ذات

منصب وجمال" يدعي ذلك في المجالس وهو يشرب كأس من الخمر عند صاحبه في جلسة سمر و" مزّته" لحم محارم أخيه ميتةً، فما كرهوه. حتى العفوَ عند المقدرة، محض ادعاء، أي قُدرة تمتلك لتعفوَ؟ تالله انك عفوت من ضعفٍ، فلو منحك الله القدرة لكنت قد عِثت في الأرض فسادا.

كان يقول دائماً : لا عيب في أخلاقنا إذ حملها الإنسان منذ قديم، يتوشح بها عمامة، ويلتحف بها رداءً من صقيع المغريات، العيب فينا والنقص منا، لِمَ كل هذا؟.

أثقلنا وزنها؟

ليس لها وزن، فهي أثيرية لا نراها، مجردة لا نلمسها، ولا نعلم أن الخير يُرد والشر يُرد، أضاعوا جيلاً، يخلف من بعده من هو العن من سلفه، وهكذا حتى نفيق يوماً، ونجد انفسنا في حفرة لا نور فيها يُهتدى به، ولا مُرتقى نهرب من خلاله الى السطح، بعد أن وصل العفن الحناجر، لست متشائماً، بقدر ما أنا محذراً مما ستؤول اليه احلامنا في مستقبلنا، لا خير فيه ننتظره، والله أعلم وأجل وأحكم.

الأخلاق قيمة الإنسان وصفة تكريم الله له بين المخلوقات، لا ما ندعيه نحن تحت مفهوم الكرامة الان، فذاك لم يدعوه صاحبه لوجبة عشاء، خاصمه بحجة جرح كرامته، الكرامة لا تُخدش ولا تُجرح ليس لها

جلد ولا لحم يكسو العظام، الكرامة هي الانسانية بلا جدل، فمتى انتزعها الإنسان صار الحيوان آنس منه وأرفع درجة.

ابتعدنا عن القيم فابتعد الدين عنا، خذلنا انفسنا، فسلط الله علينا خذلانه، ولا مناص إلا أن نسترجع ما فقدناه، قبل ان يأتي يوم لا خل يبقى فيه ولا صاحب.

مازال هناك بصيص امل وإن كان بعيدا، الخير موجود فينا حتماً، والا قُلبت، قد تخلو الخوابي من الماء، الّا إن الأرض لا تخلو من الخير، فهناك نفس ما مات لومها، ونور لم ينضب زيت مشعله، ارض تُحرث، فيسقيها الله غيثاً لتنبت خيرا.

أن القليل انعدمت الرؤيا عنهم، وأخذ الكثير يصدح، فصُمّت الآذان من رجس ما يهتفون، فلم يجد الخير مأمناً إلا في قلوب أصحابه، لازمهم فلزِموه، جمرة يقبضون عليها.

اصابتنا فتنة الخاصة الذين ظلموا، وها نحن نسد الدين عنهم، علّهم ينتبهون.

لا بد للإنسان الذي يحمل ما يحمله من قيم اخلاقية، ومبادئ انسانية، ومكنونات عاطفية، ان يمر على مفترق لا يعلم الاتجاه الأصوب، أو اعتلالات عاطفية، اي كانت نوعها ومدى تأثيرها،

فذاك طبيعي، كما يمر الجسد بعلات وامراض، وهنا يجب أن يتهيأ كل منا ليجني ثمار ما قد زرعه.

وهذه هي لذة الحياة أن نشعر ببرد الشتاء تقشعر جلودنا، وحر الصيف فنستجدي العذوبة من نسيمه ما بين شفق وغسق.

ما طعمها إن كانت على وتيرة واحدة؟

هذا ما يعيشه الساذج، وقد يكون متنعماً بلذة عيشه، لا شك في ذلك، لا لب يحزن، ولا بال يحمل هم غدا، لكننا حملنا ما لم يحمله الحيوان.

يضطرنا العقل احيانا، وليس كل من يحمله، ان نبحث عن أصل الأشياء وحقيقتها التي تتوارى خلف السدول، فبعض الفواكه الذ طعماً اذا ازلنا قشورها، وإن كان في قشور بعضها الفائدة.

الحياة أجمل حين نراها من الداخل، فيها من الأشياء التي سخرها الله لنا ما يستحق العناء للوصول اليها.

اطال الله لنا في عمره، كان يأخذنا لجني الثمار الشتوية في بستاننا، حيث كان يشعل الشتاء حطباً عانق الندى ليله كله، ونحن نتلو القشعريرة آيات ارتجاف على خيوط الدخان...

- كان يقول : موسم جني الثمار يبدد ذاكرة التعب، و يشفي أوجاع الجسد، الذي عانى طيلة أيام السنة.

حتى الأرض التي جعلها الله مهاداً، وبساطا، لم يقصد سبحانه انه قد عبّد طرقها او لمّ شعثها، البتة، شعب الجبال، انحدار الوديان، والسهول، كلها مهاداً، لأنها مهيأة لنا، حتى الطرق الوعرة رغم قساوتها الا ان السير فيها له متعة، لا يستشعرها البعض.

ثمة اخطاء كثيرة في فهم الحياة، وعميت ابصارنا عن حقائق لابد أن نتفكر فيها، لهذا خلقنا الله، ولهذا فليتنافس المتنافسون.

كنت اترك نافذة غرفتي المطلة على الشارع الرئيسي مفتوحة دائماً في دارنا القديم، قبل أن يتشظى ويكون كل منا في بلدة، بيتنا القديم الذي كان يغفو الخير في زواياه، والدفء على جدرانه، اتذكر وقتها كنا نجتمع كلنا مع والدينا على طاولة طعام واحدة، كانت غرفتي تشرف على الشارع الرئيسي، وكنت افتح النافذة ليلاً وقت الصيف، لأن الفجر في العراق بارد، ونسيمه يشفي غليل الجسد بنومة هانئة تعوّض ما كابده طوال الليل من حر وحشرات طائرة.

استيقظت ذات صباح في أحد الأيام فوجدت صحيفة مرمية في غرفتي، لا اعلم مصدرها لكنني اعتقد ان هناك من يرميها من النافذة داخل غرفتي، لا اعلم لماذا يوزعها صاحبها بالمجان، وما الفائدة أو الغاية من ذلك.

ما شأني انا بهم، صحف يومية محشوة بالأخبار، وبالمجان، وعلى هذه الوتيرة كل يوم صباحاً.

اعجبتني وقتها فكرة ان اتقمص شخصية "رشدي أباظة" في فيلم "ابنتي العزيزة" وهو يرتدي الروب على بدلته الأنيقة ويتخطى غرفة الصالون الكبيرة جداً، ليجلس بمفرده على رأس طاولة تتسع لخمسين شخصاً، وعليها اصناف متنوعة من الطعام وكاسات العصائر الطبيعية، لكنه لا يأخذ سوى الجريدة التي وضعت أمامه في طبق فرنسي الصنع، يشعل سيجارته ويضع نظارته الطبية على عينيه ويفتح الجريدة ليبدأ بقراءة ما مكتوب فيها، ثم يومئ للخادمة بعينيه فتفهم من ذلك أنه يريد قهوته، فتأتي بما أمر بسرعة لافتة.

عقيدة المخرج تقتضي أن يصور لنا ان الشخص المثقف يجب ان يقرأ الصحف صباحاً مع فنجان القهوة.

وما ان يتذوق القهوة، حتى يترك الجريدة جانباً، مرمية على الطاولة مع الاصناف الشهية، وينزل مسرعاً الى سيارته، دون ان يفطر أو يقرأ شيء ذو اهمية او حتى يكمل قهوته.

لا أملك ذلك الروب، بالأصل لا أملك حينها بدلة ولا في بيتنا طاولة كبيرة، وليس هناك متسع من اختيار اصناف الفطور، بيضة واحدة يشترك بها الجميع على عجلة من أمرهم،

لكنني احببت الدور، فكنت اجلس على سريري واشعل سيجارتي وابدأ بقراءة ما في الصحف، دون أن التفت بحثاً عن الخادمة لأشير لها بعيني، فلا خادمة عندنا ولا حتى قهوة .

بدأت اقرا الجريدة كلها يومياً، الأخبار سيئة، الوضع العام في حالة تأهب لأي طارئ، اغتصاب هنا وقتل هناك، مشاجرة بين عمال نظافة راح ضحيتها عشرات المدنيين بعد التقاء قبيلتي العاملينِ في حرب ضروس، انتحار فتاة دون معرفة الأسباب، شاب ينهي حياة والده حرقاً بمادة البنزين، القبض على شخصية عامة متلبساً في تجارة الممنوعات، صفحة الثقافة والفنون، تثير القيء عندي، عاهرة تكتب مقالاً عن الاخلاق والقيم المجتمعية، تافه ينتقد الموروث الأدبي، ديوث يكتب عن الشرف، آه، كم أشعر بالقرف.

الوضع بالمجمل سيء، وينبئ بانفلات أمني وأخلاقي، ومجاعة مرتقبة، وحرب كونية اوشكت طبولها تقرع .

وعلى هذا الحال ايام، بدأت اشعر باليأس، والاحباط يدب في مفاصل حياتي كلها، الأفكار السوداوية بدأت تنتابني بشدة، احاول ايجاد حل لنفسي إذا ما عصفت العاصفة، الكل تعيش جهل وغفلة،

فهـم لا يقـرأون احـداث البلـد والعـالم، أغلقـت بـابي وتركـت النافـذة مفتوحة.

ذات يـوم وانـا في احـدى محـال البقالـة بحـالتي المحبطـة وظهـري المحمـل بأوزار القوم، حاولت ان استفهم، كيف يعيشون هكذا دون أن يحذروا ويعدوا العدة لما سيحدث.

وأثناء حديثي لرجلين كانا يتبضعان من نفس المحل، دخل رجل متزن بحركتـه، هـادئ بطبعـه، يـتفحص مـا موجـود في المحـل مـن بضـائع و حضور من وراء نظارته الشمسية الداكنة اللون، كأنه يبحث عن شئ خـاص، يحـاول ايجـاده دون السـؤال عنـه، حاولـت شـدّ انتباهـه لمـا سيحدث بعد ما جمعت صورة جلية عن مجريات الحياة في البلد على الصعيدين السياسي والاجتماعي.

- التفت إلي : ثم بادرني بالسؤال من أين لك هذه الأخبار؟

أجبته بفم ممتلئ وعقل مطلع، من الصحف الاخبارية التي تصلني الى غرفة نومي كل صباح .

- قال : وكيف تصلك؟
- قلت له : اترك نافذة غرفتي مفتوحة ليلاً واعتقد ان هناك من يرميها لي.

وجد ضالته وانا انظر اليه انتظر ما سيقوله لي، اعطى صاحب المحل النقود حيث وجد ما يريد، وبعد أن سحب سُترته للأسفل ولمس عُقدة رباط عنقه، ثم التفت بنظره إلي عند وصوله الباب هاماً بالخروج من مكان مشؤوم ثم قال : أغلق نافذتك.

أغلق نافذتي ! اهذا كل ما جادت به قريحتك؟

وإذا ما أغلقتها، ما الذي سيحدث؟ يهدأ الكوكب، أم يعيش الناس بسلام وسكينة!

رجعت بيتنا وانا افكر بهاتين الكلمتين، بالدور الذي عشته، بكم الأخبار التي كنت اقرأها يومياً.

وبعد عدة أيام من فراقنا الابدي انا والصحف المجانية، بدأت الحياة تدب في جسد المدينة، التي كنت اراها وصلت الى البؤس المرتقب، فلا حرب وشيكة، ولا قتل عشوائي، ولا العهر قد وصل الى البيوت، حالة هنا واخرى هناك، هذا منطقي في كل البلدان على مر الأزمنة، من قال الكاتبة عاهرة؟ من رأى بعينيه صاحب مقال "الشرف يحتضر" انه ديوث؟

فهمت ولكن بعد ان اتعب الشك والترقب والخيبات ذهني، أدركت الآن ما كان يعنيه الرجل بقوله" أغلق النافذة".

لكل منا تراكمات وترسبات، منعطفات ومنحدرات، قلق ورخاء، انتصارات وانكسارات، هكذا هو الكون، خِلقة ثنائية التكوين، تكتمل بالتضاد، يعقب الليل الحالك نهار مبصر، والتعب راحة، والنار يخمد لهيبها الماء، هذه هي حقيقة ما موجود، فقط العسر فإن ما يتبعه يسرين اثنين، وهذا من لطف الله بنا، قسّم الله الأرزاق، وجعل لكل ساعٍ نصيب، والارزاق شتى، ليس الخبز فحسب، بل يتعدى ذلك بكثير، الإيمان وما دونه رزق، الحب رزق، الخُلق رزق ومن ذلك كثير.

يظن الناس أن القسمة والنصيب هي من تُسيّرهم، مُكبلين بأغلال الوهم، يتركون الدنيا بحجة انتظار النصيب، الأرزاق يا سادة قُسمت في هذه الدنيا بين الخلق ولكل منا نصيب يسعى اليه، اما المتباطئ المتقاعس الذي ينتظر من يأتي له بنصيبه سيأخذ فُتات من مجتهد، وذاك حظه.

يجب أن تعلم بأن كل ما تقوم به من أفعال او أقوال، وما يصدر من طاقتك محملًا بنوايا أي كانت، سوف يعود إليك بنفس القدر ، إن كانت أفكارك ومشاعرك وعواطفك إيجابية ، ستتلقى ردود أفعال إيجابية.

كل ما تفكر فيه ، له طاقة ويرتد في الكون بطاقته بنفس القوة ، ولهذا فقد تندهش عندما تفكر بشيء ما ، ويعود إليك على هيئة مال أو حبيب أو صداقة.

الفكرة التي تخطر ببالك، لها مردود.

الكون اشبه بغرفة مغلقة، ان رششت عطراً، ستمتلئ بذاك العطر، وحتما سيكون نصيبك منه ذرات تتساقط عليك، فماذا لو كان ذاك العطر عطب أكياس نفايات فارغة؟

حتى الكلمات التي لاتلقي لها بالا، سيصيب أذنيك صداها.

الطاقات الخلاقة يصيبك أثرها، طاقة الحب ، تعود إليك بعاطفة يمكن أن تكون موجهة لحبيب ، أو للمقربين منك روحيًا.

العدل الإلهي، لا يترك حتى فكرة سيئة دون أن تنال حظك منها، يتوهم البعض انه تحت رعاية العدل ويظن أنه قد ظُلم، وتجده انه اعتقد ذلك فقط لأن عقله لا يتقبل اليقين، لا يهمك منهم ما دمت على ذات الخط الذي خطه الله لنا.

الانسان الذي وهبه الله الروح، يظل يبحث في جوهر الاشياء حتى يلمس الحقيقة، حينها يرى مالا يراه غيره.

ما امرُ به الآن ليس مرض كما يراه الناس، ارتعاش اطرافي، تأتأتي، حتى الالم في رأسي، ليست مرضاً، هي فقط حالة من ترتيب الذات، ادت الى ما ادت اليه، ما اشعر به مجرد رعشة برد لطيفة، قشعريرة لذيذة، تداعب مسامات جلدي، تهيئني لأصل مكان اجمل من هذا.
غدا أولى جلسات العلاج، وما زلت لا اعلم ما الذي اعانيه بالضبط.

الجلسة الأولى

الأربعاء السابع عشر من تشرين الثاني

انتظر موعدي، منذ الساعة الثانية عشر ظهراً، جالس اشيح بنظري المرتجف تارة نحوها ونحو باب الطبيب تارة اخرى، في غرفة ليس فيها سوانا، لا صوت الا صوت تكتكة العقارب، الوقت يمر مسرعاً عقارب الساعة تدور بسرعة البرق في غرفة الانتظار التي تعج بعطرها، استرق النظر لأرى تلك السيدة -السكرتيرة- التي لم يتجاوز عمرها الثلاثين ربيعاً إلا قليلا، لا استطيع بهذا الوقت المتناهي الصغر أن أفقه آية من آيات جمالها، احتاج لعمر اخر لفك طلاسم زمّة شفتيها بين الحين والآخر.

بلوزتها السوداء اللون مع تنورتها السوداء الطويلة الانيقة يعطيها صورة رائعة لأنوثة المرأة الشرقية، لرشاقتها واستقامة جسدها جمالاً آخر، حسبي أن الثياب تتزين عليها لا تزينها الثياب، كمية الذوق الذي تحمله يقدر بحجم الأثقال التي تعتلي ظهري، تغطي بعض رأسها بوشاح ذو الوان براقة تشبه ألوان قوس قزح وقت الربيع، اما الباقي منه فتلف بعضه على رقبتها وتسدل البعض الاخر على مفرق نهديها، تتدلى خصلتي شعر من جانبي جبهتها، كأنهما شعاع شمس سقط من نافذة على وجه طفل صغير.

كانت الخصلتان تداعبان اطراف رموشها، وجهها يشبه الغيمة البيضاء حين يتدافع الكل ليستظل بظلها في قيظ الظهيرة على ارض قحط، شعرت للوهلة الاولى اني اعرفها منذ الف عام او كأني حدثتها او جلست معها، ولو قدر الله ان تتحدث معي لن أنبس ببنت شفه، حتى لو كنت بسابق صحتي وانطلاق لساني، الحديث معها يُختزل تناهيد فحسب.

لها هيبة اذا نزلت على جبل لتصدع تحت اقدامها ، وجهها يشع نوراً كأنما عُجنت بنور الملائكة، النظر إليها يعيد العمر لمراحل الطفولة، كأنها "أَلِس في بلاد العجائب"، تشغلك عن نفسك حتى تنسى ما الذي أوصلك لما انت فيه.

أبية تُشبه خرزات مسبحة بيد عجوز على سجادة الصلاة ، رقيقة كحبات الندى تعانق وريقات الزهر في حديقة قديمة، زكية كنسيم فجر يداعب ستائر غرفة هجرها أهلها.

لا تُشبه بالحُسن احدى نساء الدنيا، كأنها لوحة لفنان جمع معانيها من قصص الف ليلة وليلة، في ملامحها قصيدة شِعر غزلية من معلقات جدار الكعبة قبل البعثة المحمدية، هي الحجة البالغة التي إذا رآها ملحد ينطق حتماً " ما هذا بشر ان هو الا ملك كريم" بعد أن يحمد الله ثم يثني عليه.

انفاسها عطر فواح لو امتزج برائحة المسك ما فرقت بينهما ، لافتة للنظر مثيرة للفضول شاغلة للفكر، كل ما فيها ابداع ، تناغم الهي وصنعة ربانية يتوافق فيها المحسوس بالملموس.

صوتها يُرى وانفاسها تُلمس ويمكن أن تسمع لحن صوتها دون أن تفتح فمها ، لا يشملها قانون التناقضات، فكل ما فيها متكامل، فيّاضة جدًا تصنعُ هالة من الجمال حول الأشياء العادية ، عيناها سبحان من وضع البراءة كلها فيها وأفاض عليها من ماء الكوثر، رموشها مبللة بزرقة السماء، بنظرة منها تجعل اليتيم يكفكف دموعه يود الدخول في أحضانها، فيها رقة الفراشات وقسوة الصبّار، شفافة تشبه انثيال الضوء بعد الظلمة ، كأنها درة مكنونة، فمُها كأنه حبة فراولة قطعت الى نصفين غير متساويين، شفتها السفلى يتدلى منها العسل يسحبها مع قطراته الى الأسفل، كأنما يريد ان يسقط على ثلج صدرها، انفها انموذج لكل مراكز التجميل ، حديثها حق لا يخالطه باطل ، النظر لوجهها طمأنينة وعبادة ، ابتسامتها رحمة ، كلماتها بلسم، كأنها ياقوتة على صدر عروسة ليلة زفافها، تشبه الشيء و اللاشيء ، الممكن والمحال ، مجموعة اسئلة تود لو تفهم إحداها، تُذهلك، يتنافس المنطق واللامنطق في طيات راحتيها، كأن حور العين خُلقن لها وصيفات، معصمها الأيمن يحمل ساعة كلاسيكية بلون فضي جميل لم تتوانى

بالنظر إليها كل بضع ثوانٍ، كف يدها اجمل من كل ايامي، أصابع قدميها تشتعل باللون الأحمر من وراء شريطين يلفان قدميها، خشية منها ان تذوب الارض ان لامست راحات قدميها.

حان موعدي، الساعة الآن الثالثة بعد الظهر ، حين اومأت لي بأن نسير سوياً لغرفة الطبيب، الممر الذي يفصلنا عن بابه ليس بالطويل، جانباه مدهونان بالأبيض، بعض من مصابيح فوق راسي تضئ السقف، اما الارض فيكفيها شعاع النور الذي ينساب من وجهها، تمشي بجانبي على استحياء.

رغم قرب المسافة بين الغرفتين، الا اني شعرت بأنها تلُف يدها تحت ذراعي ونحن نسير في احدى شوارع بيروت وقت الغروب، احسست " لفسحة من الأمل" لا تكاد تتعدى العشرين حسرة، اننا تحت ظلال الأشجار المعمرة في احدى جادات الطرق هناك، ثمة اشياء بسيطة قد تغنينا عن عمر سلكنا فيه طرق كثيرة ، ولم نرى على جانبيها ولو ضل ورقة سقطت من على كف ريح.

وصلنا غرفة الطبيب النفسي الدكتور " علي كمال" أستاذ علم النفس في جامعة بغداد.

طرقت الباب:- ثم دخلت، رجل يجلس خلف مكتب، مكتظ بالأوراق والقصاصات ، عليه علبتين من السجائر ومشرب، ومن

الوهلة الاولى بإمكانك أن تمنحه صفتي الكياسة والفطنة، شاح بيده أن اجلس.

جلست اتفحص المكان وصاحبه، لم تكن مجرد عيادة طبيب، كانت أشبه بصالون استقبال ضيوف في قصر مشيد، بصمة صاحبة القصر لا تخلو منها الاثاث، هناك لمسة انثوية تزين المكان، الألوان تنم عن عمق شخصية منتقيها، طقم جلوس باللون الرمادي المائل الى الزيتوني، يضفي فخامة على فخامة الطقم، تتوسطه طاولة مستديرة من الزجاج بتصميم فنطازي ملفت للنظر، لم يكن عليها سوى منحوتة من البرونز بحجم الكف لطفلة ترقص، تحمل بيدها مظلة وكأنما يقصد النحات انها تتراقص تحت المطر.

الستارة من ذات اللون الذي يُغلف اجزاء طقم الجلوس، تنقسم الى جزأين يتشبثان على قطعتين من البلاستيك على شكل مشبك موضوعة على حافتي النافذة المطلة على الشارع الرئيسي امام المبنى، في وسط النافذة او على مقربة منها اريكة استرخاء باللون العسلي الذي يتناغم مع لون الساتان المتدلي من اعلى الستائر الى الارض، يحجب بعض الشمس ونصف الرؤيا.

تتوسط الجدار الذي يقابلني لوحة جميلة سريالة بالأبيض والاسود، واقصى اليمين من الجدار ذاته على الارض جهاز بحجم مدفئة من الحجم الوسط تمتد من خلاله أسلاك كهربائية، يقترب من الاريكة من جهة موضع الرأس.

لم ارَ ما موجود خلفي، لأني احاول الاحتفاظ بأناقة جلوسي واتزاني، حتماً صمته هذا مقصود، يعطيني الوقت الكافي لاستكشاف المكان والانخراط بانسيابية بكل اطمئنان إذا ما بدأنا الحديث.

توسطت المقعد الكبير أخذت حيزا أكبر من المكان الذي يكفيني للجلوس، كانت ارجلي متباعدة عن بعضها البعض بنسبة مهذبة لا تثير السخط ولا الاشمئزاز، استند على يدي اليمنى لا تظاهر بالاستقامة في الجلوس، وابسط الاخرى القريبة من مكتبه على حافة المقعد، مازال كلانا صامتاً، بيد ان المكان يرقص الباليه على موسيقى "شوبان" بصوت مسموع بدون صخب.

ارتدى نظارته الطبية وبدأ بترتيب أوراقه ، يبدو وسيماً نوعا ما، طويل القامة ذو شعر اسود بدأ الشيب يتسحب خلسة ليختبئ في ذوائبه، وجهه مستدير وشاربيه مرتبين كان يبدو أنه ذو شخصية متزنة يغازل عمره الأربعين خريفاً انيق وكأنه أحد فرسان القرون الوسطى، يرتدي بدلة كحلية اللون وربطة عنق "صفراء فاقع لونها تسر الناظرين" تزين

بدلته فيختلط ما يرتدي على ما منحه الله من وسامة لينتج عن ذلك رجل يغيض الحساد، ساعته الفضية الأنيقة تثير فضولي اظنها ومن خلال التصميم المميز الظاهر عليها انها من منتجات شركة سيتيزن اليابانية، عطره مميز جدا اعتقد انه من ذات الشركة المنتجة العطر الذي تضعه سكرتيرته.

ما يميزه ان الشيب لم يصل الى شاربيه على الاقل الى الان.

مكتب الطبيب بسيط لا يحمل على ظهره سوى تلك الأوراق وعلب السجائر وجهاز حاسب الي، الى الان لم ينبس ببنت شفة ، وأنا ما زلت اتفحص الستائر الرمادية والأضواء الخافتة، وتلك الزاوية، وقبل أن يسأل أي شيء قام من كرسيه الدوار يتخطى المكان حتى وصل الى النافذة، يبدو انه يريد البدء ويريد أن ينتقي أجمل ما عنده من الأسئلة، فن المحادثة علم لا يتقنه الكثير، يحتاج لشخص تتوازن فيه المعرفة و اسلوب الالقاء، إذا ما اجتمعنّ سوياً أصبح الإقناع سهل، وأدواته بمتناول العين، اتجه الطبيب نحوي وجلس امامي على الكرسي الذي يقابلني، نظر إلي بابتسامة بسيطة لم تكشف عن أسنانه...

وبادرني بالقول : كلنا نحتاج لمن نتحدث إليه بمنتهى الطمأنينة لا نخشى ردود افعاله، لا نخشى لوم او عتب او تأنيب، نتحدث وكأننا نهمس لأنفسنا في مخيلتنا، شخص يكون هو الضمير، الأنا التي

تستطيع أن تخرجها منك و تجلسها أمامك، سنتعرف على بعضنا البعض ونتحدث دون قيود، تحدث عما شئت كيف شئت، بالطريقة التي تراها تتناسب معك، يسعدني سماعك.

- أنا : عبد الله حميد
- هو : اهلاً عبد الله ، كيف حالك اتمنى ان تكون على ما يرام.
- أنا : بتأتأتي الملازمة منذ أكثر من شهرين وارتعاش رأسي وحركة يديّ الغير طبيعية ، أجبته : لست بخير دكتور رغم مجموعة الاشعة والتحاليل التي لم يظهر فيها اي خلل عضوي
- هو : منذ متى تعاني من هذه التأتأة وانعدام التوازن،
- انا : من ستين يوماً او يزيد.

يأخذ وقتا يتفحص تقاريري والأشعة الرنينية ليستطرق قائلاً بعد أن انتزع نظارته الطبية من عينيه...

- نعم، لا يوجد أي مرض عضوي او اي علامة تستدعي أي تدخلات سريرية أو عمليات مشرطية، كل ما في الامر جملة تراكمات، جل ما تعانيه هو انفعال عصبي ، لنصفه بالحاد، ريثما تجد المخرج من الازمة الفكرية سيتعافى جسدك بتعافي النفس.

- أنا : دكتور لم يكن هناك حدث بعينه لِيُسقطني هكذا، على العكس كنت في زيارة الى الريف أواخر شهر أيلول وفجأة شعرت ببرودة تتخلل مفاصل جسدي وسقطت حينها دونما حركة.

حملت يدي اليسرى على اسفل صدري ووضعت اليمنى عليها، انتظِر ما سيؤول اليه الامر بعد صمت الطبيب.

يقوم من مكانه الذي كان يقابلني، ليرجع خلف مكتبه على كرسيه الاسود الدوار يصنع من أصابع يده كرة دائرية يقابل فيها كل اصبع من الكف اصبع من الكف الثانية، يسند رأسه على كرسيه ثم استطرد قائلاً : لا نوعز ما حدث لك حادثة آنية بل هي تراكمات قديمة وصلت ذروتها فانفجرت في وقت لم تكن أنت على استعداد لها وهذا أمر طبيعي، الضغوط النفسية احياناً نتجاهلها بعد أن نهدأ لكننا لا نعلم أنها ترسبت فينا حتى اذا زاد حدها انفجرت، هل يمكنك سرد الأحداث التي مررت بها؟

- انا : لا استطيع القول انها احداث مبنية على وقائع سردية يمكن أن تروى لنتمكن من ترجمتها بل هي مجموعة تناقضات بيني وبين محيطي المجتمعي ، مثلا قراءتي لكل ما موجود في هذا العالم تختلف عن نظرة المجتمع له اضف على

ذلك أنني طالما اكون متأخر رغم أولويتي في كل مجال ، مثلا: حين ادخل لمكان عمل اجد الاضواء كلها عليّ وأشعر برغبة رؤساء العمل ان اكون ضمن الأشخاص المقربين أو لأحظى بالأولوية ، لكن سرعان ما اجد من هو أقل مستوى أو حتى من لا يذكر اسمه في اي حديث او حادثة ، يعتلي مكاني لأذوب تدريجياً ثم انسحب بصمت كضيف شرف.

يبتسم، ثم يهمس بصوت منخفض لا اكاد اميز حروف كلامه، كأنما يريد أن يقاطعني ان شئت السكوت ليكمل ما رغبت قوله، لكن بصيغة تتناغم وما اشعر به، يرفع صوته الجميل بعبارة : الناس يا سيدي الكريم لا يتشابهون بالتفكير، الذوات تختلف فلكل انسان افكاره التي اخذها من مجتمعه بالاكتساب او بالوراثة فلا يمكن ان نفرض ولو فرضية، أن تتوافق افكارنا مع الغير، لنتعايش معهم اضطررنا لأن نتغاضى اولا ثم نجامل، قد يكون الاكفاء أكفاء بالعمل المناط بهم، لكنهم ليسوا كفوءين بأعمال تخص رؤسائهم، اقصد هنا الأعمال المشبوهة، ايمكن ان تعمل هذا؟هل لك أن تمتدح أخطائهم ؟

- انا : لا يمكن ان أكون اداة في يد أحدهم، يستخدمني متى يشاء.
- هو : بمقدورك أن تجامل إذن،

- انا : لا اجامل البتة، المجاملة كذب منمق
- هو : ليس كذباً ، مجاملة فحسب،
- أنا : إذن يتجمل بالكذب!!
- هو : هل يمكن أن تقول لامرأة ليست بجميلة انتي بشعة او لديوث انت كذلك.
- انا : لا، لكن لا اقول لها انتي جميلة ولا للأخير انت نبيل، لا اتجمل باللغة بل اصف كل واحد بوصفه ، وهل أجمل من وصف الناس بما يستحقونه من وصف؟
- هو : واذا قلت لها جميلة ماذا ستخسر ؟
- انا : سأكذب
- هو : حسناً لا تقول ايّ شيء لكن لا تصارح احدا بحقيقة أمره ، نحن لسنا بمعزل عن الناس، نحن جزء منهم لا يمكننا الا ان نتعايش، اهدي احدهم ابتسامة والآخر كلمة تعطيه دافع للأمام، الإنسان يزهر بالكلمة الجميلة، لا تحمل الناس على السوء، دع شكوكك وابني على يقين ما تشعر به من خير تجاههم، الحقيقة لا تكشف بالظن، تكشفها التجارب، ولسنا بتجارب مع الكل، لماذا لا نحملهم على الحسن، لا تعتلي صهوة خيالك لتسابق افكارك السلبية يا عبدالله، فنحن لا

نعلم ما يخبئه غدا لنا، فكل الاحتمالات واردة وربنا جل وعلا يقول "كل يوم هو في شأن" وهذا يعني ان الاقدار تتغير، فلاتكن حبيس اوهامك.

خذ مثلاً؛ كلنا نقبع تحت كابوس الاحزان والهموم ولا نعلم ما بنا، أهو حزن ماضٍ انتهى لا رجعة فيه، أم مجرد احساس بخطر محدق صنعته مخيلتنا، من كم الاوهام المتراكمة، تحت زيف الاحساس والشعور، هذه المجردات نحيا بها لا نجعلها جدار نصطدم به كلما تهيئنا للخوض في عالمنا اليومي.

يقف الطبيب مرة اخرى ويلتفت خلفه لتقليل صوت الموسيقى، ثم يسحب سيجارة من علبة سجائره ويشعلها، يأخذ نفسا منها ثم ينفثه في أرجاء الغرفة ويقول : إن الإنسان يعيش وسط نزاعات داخلية بين رغباته اللاواعية وإدراكه من جهة ومجموعة القيم والمثالية المفرطة من جهة أخرى.

دعنا نفهم أنفسنا اولاً، لنفسر الانسان قبل كل شيء ثم نبحث عن حقيقته في داخله، حينها سنجد المخرج لأي أزمة ممكن ان يمر بها، وقبل ان ابدأ تذكر ما سأقوله لك جيداً :

لا تقع ضحية المثالية المفرطة و تعتقد بأن قول الحقيقة سوف يقربك من الناس ، الناس تحب و تكافئ من يستطيع تخديرها بالأوهام.

منذ القدم و البشر لا تعاقب إلا من يقول الحقيقة ، إذا أردت البقاء مع الناس شاركها أوهامها ، الحقيقة يقولها من يرغبون في الرحيل ، أفهمتني ؟

- انا : نعم، تقصد اجامل كما اسلفنا، او على اقل تقدير اغازلهم كذباً!
- هو : كيفما شئت، وان كنت اشعر بنبرة التهكم في كلامك، على ايّ حال، اعطني الفرصة لأفسر لك شيئا قد تراه مختلفا، لكن اعتبره وجهة نظري لا اطلب من احد قبولها لكن دعنا نستأنس بها كما يقولون أهل العلم الشرعي.

العقل مركز الذاكرة يحمل تجارب السنين، صور الماضي، كلمات الناس، أفعالهم ومركز سيطرة على جميع ما في الجسد وما نشعر به ايضاً، اما القلب فهو المضغة التي اذا صلحت صلح سائر الجسد، مركز الإيمان وتضاده والحب ونقيضه شعاع النور الذي يضئ الجسد، وباقي المجردات التي نشعر بها، وهنا ارجو التفريق بين ان تشعر بالجوع او تشعر بالحب، بصرف النظر عما اذا كان القلب هو هذا الجزء المادي النابض او غير ذلك، قد يكون المقصود بالقلب هو الروح او يكون النفس او جوهر الانسان المكنون على أي حال،

الشعور بالرغبة في محادثة أحدهم ليس ذاته شعورك بالعطش، وليس الإيمان والمعتقد مثل الشعور بالنعاس.

وبعد أن أنهى مهمة حرق سيجارته وصفّ عقبها بين سابقاتها، في تلك المنفضة المحشوة بالأعقاب والرماد، واثناء ما هو يرتب الأعقاب ويصفّها كعلبة سردين، نظر بوجهي واردف قائلا: الحزن هو احداث جرت في الماضي وأنت جعلت من عقلك شريط يعيد الذكريات كل حين رغم انه لا يمكن ان يعود الزمن لتغييره، فلماذا نسجن انفسنا في ذاك التاريخ وقد مرت عليه الايام، وربما اشهر او سنين، واعلم ان كل فكرة اي كانت سلبية او ايجابية، مجرد التفكير بها ستجذب كل الأفكار من ذات الجنس فتتجمع كخيوط في رأسك ثم تتشابك، تخيل اننا نفكر بشيء حسن، قطعاً انه سوف يجذب كل الأفكار الجيدة والحسنة، ستكون كالغيوم تتجمع لينزل عليك غيثها، حينها سيكون هناك متسع من الراحة لاتخاذ القرارات الصائبة، ومعها نفس مطمئنة ووجه مبتسم طليق.

اعلم ان الماضي ليس منقطعاً عن حاضرنا ولا يمكن أن يتوقف الحاضر ولو للحظة، ليبدأ المستقبل، إذن هو توالي أحداث غير منقطعة.

أفكارنا يجب ان تتجه باتجاهين لا يمكن اهمال أحدهما، حاضرنا هو نتاج الماضي واليوم سيصنع غدا، ماضينا هو الوقت الذي قطعناه لنصل الى اليوم وتستمر الحركة لنبلغ غدا بأي حال من الأحوال، لأننا نسير وفق ديناميكية حركية لا يمكن ايقافها، دعنا نرتب بعد كل يوم يمر أفكارنا، نعيد النظر بأفعالنا واقوالنا، وهذه الطريقة بترتيب الأفكار ومحاسبة الذات أما بتكريمها او تقويمها، علمني اياها أخي المهندس رغم انه بعيد جداً عن مجال علم النفس.

كان يقول لنا ونحن نتسامر ليلاً مجتمعين حول "دلة" القهوة نتجاذب طرف خرطوم النرجيلة : "دائماً ما ارتب افكاري ليلاً، احاسب خطأها او اقوم زللها او اكرم ابداعها، لانام على أمل يوم مشرق ، أتهيأ ليوم جديد بطاقات مفعمة بالحب وابتكارات خلاقة ، قد لاتحتاج منا سوى تغيير في ملامح الوجه، كابتسامة او تفاؤل".

ابتسم لي الطبيب فبادلته بابتسامة لطيفة، لأشعره بالرضى وتقبّل أفكاره، ويكمل كلامه :

- اترك الأقدار تأتي كيفما كُتبت ما دمت تعمل على خط مرضاة الله أولا ثم ضميرك، لا تتوانى عن العطاء فإنه يجعل الانسان سعيداً اكثر من الاخذ ، كن معطاءً ولا تنتظر من احد ان يعاملك بالمثل ، لا تنتظر الخير الا من نفسك، ماذا

لو أن مانسير اتجاهه هو سائر إلينا، ماذا لو أن الطريق الذي سلكناه هو ذات الطريق الذي يخرجنا من ظلمة النفق.

وهنا أُقاطعه لأبدي رأيي بما يقوله بعبارة خطرت على بالي تواً، فيها من البلاغة والمنطقية ما يجعلني اجاريه في طرحه.

دكتور إن كان رضى الناس غاية لاتُدرك، فأن اسعادهم غاية تُدرك.

فيرد علي بأبتسامة تعلو وجهه وراحة تجعله يسترخي ليستمر.

ثم يكمل، لا تجعل من عقلك الة حاسبة تُخزّن كل المعلومات، احذف السيء منها لا تجعله يبيت ليلة في عقلك، ماذا لو أعطينا بالونة لمجموعة أشخاص ليقوموا بنفخها ما الذي يحدث ؟ لا تقل تنفجر، لن يحدث شيء الا اذا امسكنا فوهتها وحبسنا الضغط بعد كل نفخة، وقتها قطعاً تنفجر بوجه احدهم رغم انه لم يكن السبب الرئيسي، فلو أننا بين كل ضغطة هواء واخرى تركنا الفوهة دونما إغلاق ليتسرب الهواء الزائد وتأخذ فقط ما يجعلها بالونة ، هكذا نحن ، نمتلئ من الأشخاص السلبيين و نحبس أنفاسنا ثم ننفجر، لو أننا أخذنا نَفَس عميق وافرغناه بعد كل شخص سيء وبدأنا مع الآخر بنفس مطمئنة سنجد فيهم خيراً لم نكن نراه، الإنسان يا عبدالله اسير بيئته لا يمكن أن يكون غيرهم إلا إذا ابتعد، لا اعني الابتعاد الفكري فحسب بل

الابتعاد بالكلية ليتمكن من صياغة نفس موائمة لما يود أن يكون، اقصد هنا ان كانت البيئة التي يعيشها ضد قيمه السامية.

النفس البشرية مناعتها بأيدينا، قد تكون عرضة لأي فيروس، او قد تكون مطعمة لدرء أي مرض، النفس وإن لم نقوم بتشريحها لأنها جزء غير مادي، إلا أنها واتيقن من هذا انها اعظم تعقيد من المنظومة الجسدية.

- انا : كيف ذلك؟ اشرح لي اكثر.
- هو : إذن سندخل في شروح كثيرة أشبه بأطروحات علمية!
- انا : ولم لا يا دكتور.
- هو : إذن لنتعرف اولا على النفس البشرية، أنا أؤمن أن تركيب النفس مع الجسد هو من نوع تركيب المادة بالصورة، و لذلك فلا يمكن أبدا اعتبار النفس و الجسم شيئين مستقلين بعض عن بعض، بل يجب اعتبارهما وجهين لكائن واحد وهذا القول لأرسطو.

من هنا يتضح ان انفصال النفس عن الجسم امر غير ممكن، ترابط مشروط متشابك لا نعلم الكيفية والحيثية، بقدر علمنا ان كل منهما يؤثر على الآخر بصورة واضحه للعيان وهذا ما جعل العالم يؤسس لعلم النفس مكاناً موازيا لعلم التشريح.

النفس جوهر مجرد من المادة ذاتيا، و لكنها مرتبطة بالجسم في الوقت نفسه، و تؤثر فيه وتتأثر به .

ان العلاقة بين النفس والجسم اشبه بالعلاقة بين الربان و السفينة، فهو في الوقت الذي يكون فيه مستقلا عنها يعد المكمل لها من حيث أنه ملزم بادارتها و قيادتها و صيانتها.

وهكذا فإن النفس وان كان حدوثها و ظهورها يتوقفان على استعداد خاص موجود في مادة خاصة تسمى الجسم، إلا أنها في بقائها ليست مرتبطة به .

الأمر الآخر الذي يجب الالتفات إليه هنا هو أنه عند طرح سؤال : هل للنفس صفات و أفعال خاصة بها، ام ان جميع حالات النفس تخص كائنا حيا مركبا من النفس و الجسم؟ هنا نختار الشق الثاني لأن النفس ليست مستقلة عن الجسم، إذن النفس و الجسم كلاهما يولدان معا و كلاهما يفنيان معا، النفس يا عبدالله هي الكمال الأول للجسم الطبيعي .

ومهما يكن تفسيرنا للكمال فإننا لا نعرف النفس و لا الماهية، وانما نحن نعرفها من حيث كونها نفسا، إلا أن اسم النفس لا يطلق عليها من حيث الجوهر والذات، بل من حيث كونها تقوم بتدبير شؤون الجسم وتقاس به .

ولذلك فإن الجسم يؤخذ ضمن حدود النفس بمثل ما يؤخذ البناء ضمن حدود الباني، و إن لم يؤخذ البناء ضمن حدود الباني من حيث إنسانيته .

- انا : قلت ان النفس ليس لها صفاتها الخاصة بها بمعزل عن الجسد.
- هو : كيف للنفس أن توصف او تضع لها حدود وهي خارج إطار الجسد وقد تكونت بتكونه؟ ياسيدي الكريم، اما اذا كان قصدك التأثير والتأثر احدهما بالآخر فهذا قطعاً لا يمكن لجزء ان يتأثر دون أن يتداعى له الجزء الآخر بإظهار ما يمكن إظهاره بشكل او بأخر فمثلا : الحزن، الفرح ، الخوف و أمثالها تكون من حالات الكائن المركب من النفس و الجسم، و هي حالات لا يمكن نسبتها ابتداءً و ذاتياً الى النفس، ولا اعتبار نسبتها إلى الجسم ثانويا و تابعا .

و لذلك عند بيان هذه الحالات لا بد من الاخذ بنظر الاعتبار حالات جسمية خاصة تظهر مواكبة لها و إيرادها عند تعريف تلك الكيفية .

عند تعريف حالة الغضب لا يمكن أن نكتفي بالقول بأن "الغضب حالة تظهر في النفس استعدادا للهجوم و الانتقام" بل لابد من الاشارة الي التغيير الذي يقترن بهذه الحالة في القلب و ارتفاع حرارة الجسم، و اعتبار ذلك متمما للوصف.

ولهذا اقول: اذا ظهرت حالات جسمية مما تقترن مع بعض العواطف، مثل الغضب و الخوف، فإن تلك العواطف نفسها تظهر ايضا، حتى اذا كانت العلل النفسية لظهورها ضعيفة جدا او عديمة الوجود، وهذا بالضبط شرح لما تعانيه.

اقاطعه مستلهماً الأفكار منه وبإشارة مني يفهمها المدخنين فقط ، سحب سيجارة وقدمها لي وقام من خلف مكتبه متجهاً نحوي وأشعلها، ثم جلس امامي ويده على خده الأيمن ايحاءً منه بالاستماع لما سأقوله.

هنا ابتدأت القول بلطف : سيدي الدكتور علي، اعتقد ودون أن تستهجن ما سأقوله، أننا خلطنا بين المشاعر الحسية التي هي وصف مادي وبين العواطف والانفعالات النفسية، شأنها شأن الكثير من الملابسات اللغوية التي أخذت مكانتها في أذهان الناس دون العودة لأصلها، قد تقول أن هذا لا يفسد في الوصف جزئية، الا اني ارى ان

المشاعر الحسية هي وصف لما نشعر به من الحواس الخمس ابتداءً ثم حاجات الجسد تبعاً، شأنها شأن الكثير من المغالطات.

وعَوداً على بدء فأن الكرامة اصطلاحاً لا تعني ما نستخدمه، الكرامة في الانسان بالأصالة لا تبعية له يستلهمها.

- هو : كيف ذلك؟
- انا : دعني اكمل وان كانت حروفي متقطعة واظن أني اتعبتك في التركيز معي، لكن اقصد ان هذه الحصون والخرسانات الكونكريتية التي اختلقها الإنسان من وهم، لصنع حاجزاً أو بتعبير ادق ليجد مسوغاً للابتعاد عن نظيره الإنسان، الجُرح والانكسار والتمزق كلها ماديات وضعناها مجازاً لنعيش وهم الانفعالات التي معظمها أفكار مبنية على خطأ أعتدنا عليه، اعتذر ان قاطعتك دكتور، ارجوا ان تكمل الشرح الرائع.
- هو : على ايّ حال، اعتقد ان ظهور أي حالة في النفس يستلزم اشتراك النفس و الجسم، بحيث انه عند بيان احدي الحالات النفسية لابد من ملاحظة الحالة التي تظهر على الجسم في الوقت نفسه، وهذا تحديداً ما تمر به او لنقل حالتك، كما اخبرتك قبل قليل.

حتى وأن اعتبرنا ان الانفعالات تخص النفس ابتداءً و ذاتيا، ثم تقترن ثانيا بالتبعية بالانفعالات الجسمية، إلا أنها تحدث تغييرات في أحوال المزاج، مثل حدوث اختلالات في عملية الهضم بسبب الحزن، و تقوى هذه العملية على اثر الفرح، وينتصب شعر الجسم على اثر الخوف، وأمثال ذلك كثير.

ينبغي أن لا نتصور أن هذا الارتباط يعني اشتراك النفس و الجسم في هذه الحالات علي نحوٍ متساوٍ و من دون اصالة او تقدم لأحدهما على الآخر، بل إن هذه الحالات و الأفعال تتعلق بالنفس اصالة، و لذلك فان حصول هذه الحالات في النفس لا يقترن دائما بآثار جسمية، و من جهة اخرى ان بإمكان العقل أن يحول دون الحالات النفسية الخاصة، كالحزن و الفرح، و لكنه لا يستطيع أن يمنع حدوث الحالات الجسدية الخالصة مثل اللذة و الالم.

والحديث عن النفس يطول شرحه فلا يمكن اختصاره بجلسة او اثنتين، لكننا على اقل تقدير " نُحِط بها خُبْرا".

ولا نكتفي بما قرأناه من كتب الفلاسفة فديننا أخبرنا بمواضع عدة عن النفس في "القرآن الكريم" وكلها تعني الجزء الغير

مادي، الغير ملموس من الجسد، خذ عندك قوله تعالى" **الله** يتوفى الأنفس حين موتها .." ،" كل نفس ذائقة الموت.." التي تموت هي النفس والتي تسافر حين نومنا هي النفس ذاتها.

- أنا : إذن الله جل وعلا هو من يقبض الأرواح....

يقاطعني مبتسماً : لا تأخذنا بعيداً ارجوك، فالحديث عن هذا لا يروق البعض.

- انا : دعني استفد منك، او دعني اتنفس عندك، هكذا العبارة اصدق.
- هو : النفس ليس ذاتها الروح، هذا ما سأعرج عليه باستفاضة إذا سمح الوقت، لكن الاهم هو المفهوم القاصر لتفسير الآية الاولى ولسنا بصدد الدخول في مشاحنات مع رجال الدين، فهم يعتبرون القرآن والدين بالمجمل حكر لهم، لا يمكن لطبيب او عالم فلك أو اي علم غير الشرعي، كما يسمونه، ان يتفحص او ان يبدع في بناء مفهوم اقرب للمنطق، فلو نظرنا لآية واحدة فقط قد تعيد الى اذهاننا تصور أعمق مما تربت عليه عقولنا، القرآن جاء للناس كافة لا لمجموعة بعينها.

الله تبارك وتعالى عما يصفون، لا يقبض الارواح بل يتوفى الانفس ، دعني اقربها لك بحسب ما نفهم نحن، لا يعتبرونه تهكماً وساؤفي الشرح قطعاً بالأدلة اللغوية والعلمية.

كلنا خلق الله إليه راجعون لا محال، وهذا نص قرآني فالنفس التي تموت لا يمكن ان تبقى هائمة بين السماء والارض بل يمسكها الله عنده، بكيفية وحيثية لا نخوض غمار شرحها، أي أنه سبحانه يرد ما له إليه شرط انقضاء مدتها في البقاء وهذا قضاء الله ، أما التي لم تمت – لم يقضى أجلها– يتركها وشأنها حتى تموت.

لا يمكن أن نعقل ان الله يقبض الأرواح فأي تنزيه واجلال هذا الذي تدعي ان ربك الذي خلقك يقتلك، وكل الآيات تدل على أن ملك الموت أو الرسل تتوفى الأنفس لا تقبض عليها.

يا اخي استيفاء الاشياء ليس كالقبض عليها ارجوك، عموماً ، العلم التشريحي اتفق أن الإنسان يصل مراحل تبدأ الأعضاء بالتهالك تنتهي صلاحيتها وكل سابق لهذا التاريخ هو إنهاء حياة شخص لو ترك لعاش أكثر.

يقوم متجها الى مكتبه لإشعال سيجارة اخرى وبعدها يتجه الى النافذة ويكمل حديثه وهو هناك يوجه لي سؤالاً : القاتل لماذا يخلد في النار إذا كان هو مجرد وسيلة لتنفيذ أمر الموت؟ لا يمكن بأي حال من الاحوال ان نأخذ بمفهوم اللغة خطأ ثم ننسبه لله جل وعلا بعدها لن نسمح بالتمحيص والتدقيق بحجة ان هناك علماء شرعيون، الروح جاءت صراحة في القرآن بموضع لا يحتاج لأن نزيد على ما فيها من بلاغة واضحة وتبيان ، أنها "**من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا**" فكيف نمزجهما معاً وكل منهما جاءت بموضع يختلف بالوصف والتقدير.

الروح جاءت في مواضع على أنها العلم او على حد ألفاظ القرآن أنها الوحي الذي نزل على نبينا صلى الله عليه وعلى آله، وهي النفخة الاولى.

قبل ان ادخل في متاهات ما لم يكن ملموس ويبقى مجرد اعتقاد غير حتمي، اعلم ان الروح هي ليست الجزء الذي يجعلنا نتحرك، اذن هي ليست الحواس الخمس، فتلك هي النفس.

وقبل أن أسأله ما هي الروح، استمحت الطبيب عذراً، أن يملأ القدح الذي أمامي بالماء لأني أشعر بالعطش.

وبعد أن ملأ الكأس بالماء وانتظرني حتى اشرب، أكمل ما بدأه قائلاً: الروح في اعتقادي الشخصي بعد ما جمعت من أقوال السابقين في هذه المسألة ، أنها تحتمل وجهين أولهما : هي المادة المعرفية للإنسان، فأقول : ان الروح هي ما تكسبه من معرفة، او هي حجم الادراك الحسي الملموس والوعي الناتج عن معرفة جوهر الأشياء وبناء الأسس المعرفية التي من شأنها تغيير واقع الإنسان إلى أفضل حالاته، هي الحجم المعرفي لسبر أغوار الحقيقة.

ثمة أشياء لم نصل اليها حتى الان، الروح هي ما نتركه وراءنا بعد ان نغادر الدنيا، قطعاً ما زلت تتذكر حديث احدهم او جملة عالقة برأسك من والدك او استاذك، الروح خلاصة ما تكون بها شخصيتك المعرفية، خذ مثالاً بسيطاً ، انت لم ترى الفيلسوف العربي ابن رشد الأندلسي لم تعش معه لكنك تعرفه وكانه حاضرا معنا، نعرفه من خلال ما ترك لنا، فلو جزئنا الانسان الى جسد مادي ونفس هلامية فإن جسده قد استحال الى بترول، ونفسه عند بارئها، ما الذي بقي عندنا؟

احيانا من شدة تعلقك بشخصية تاريخية وحجم ما قرأت له وعنه بمقدورك وصفه وإن كان قد مر على فنائه ألف سنة، لا تبحث عن

جسده ولا تتفكر بنفسه التي بين يدي رحمة الله، ما يبنيه من افكارك هذا هو الحاضر منه امامك، وهذا كما قلت لك رأي مادي، أي أن الروح الارث المعرفي.

وهنا يتحرك مرة اخرى نحو مكتبه، ليقدم لي كأس ماء آخر، شفاهي ابيضت وبان عليها اليبس ، ثم بعد ما شربت ناولني سيجارة ورجع مكانه امامي، اشعل سيجارتي ثم التي بين شفتيه، وسحب نفساً عميقاً حرق فيه جزء كبير منها، ثم نفثه نحو السقف وبابتسامة تنم عن حبه لما يدعيه او اعتزازه بالكم المعرفي الذي بين دفتي عقله.

يسود الصمت الغرفة كأنما نريد نحن الاثنين اخذ قليلاً من الراحة العقلية، ومازالت عينيه تنظر الي بإمعان، وبين الفينة والاخرى يدفع نظارته الطبية الى عينيه.

وبعد صمت لم يدم طويلاً، يقوم من مجلسه متجهاً الى النافذة وينظر من وراء الزجاج ويديه في جيبه متأملاً شيء لا يراه سواه، وبعد تنهيدة تناغم الموسيقى الرائعة التي انتهت قبل قليل ولم ينتبه لها، لكنها مازالت تعزف في رأسي، يرمي عقب السيجارة من النافذة الصغيرة المفتوحة قليلاً، ثم يتجه ليعود ادراجه امامي، وبيني وبينه الطفلة التي من المفترض انها تتراقص تحت المطر.

ثم يقول بصوت هادئ لطيف : ولان الروح عالم لا يمكن الجزم فيه او اليقين المطلق الذي يجعله محل وصف دقيق وقاطع فنحن أمام آراء كل الذين بحثوا واجتهدوا فيها، خذ ما قاله المتصوفة عن الروح " هي جرم لطيف حادث عن لطافة الأخلاط ، كما كانت الأعضاء في كثيفها "، هو حامل للقوى بأسرها وانبعاثه من التجويف الأيسر للقلب، وعند الانبعاث يسمى روحا حيواني، وقال بعضهم : "**إن** الروح هي شعاع الحقيقة ، شعاع يختلف أثره في الأجساد". لكني يا عبدالله أقول : هي هالة تحيط بالجسد وريح عذبة تصدر منه لا يمكن لحاسة الشم تمييزها لأنها تسري عبر الجلد ثم تتخلله ، او هي جسم لطيف مركب من الجواهر النورانية ، ليس لها قبل حلول الجسم صورة لدقتها المتناهية في عالمها العلوي ، فإذا حلت في الجسم اكتسبت الصورة من المحل أو لنقل هي جوهر الطهر ومادته الالهية، هي ذاك الأثير الذي لا يعلمه إلا صانعه الذي يفوح عبيره من القلب فينتشر بالمكان ويصيب الموجودات كلها فتزهر.

أما جسدُك فما هو إلآ وعاء توضع فيه رُوحك ..

إياك أن تُصدق بأنك كبُرت في السن، الرُّوح لا تشيب ولا تشيخ ، والرُّوح من عالم آخر لا تُشبه عالمنا بِشيء ، ولا يعلمُها إلآ الله ..

هي المجهول في هذا الكون السحيق، فإذا تحدثنا عن الحسد مثلاً وكيف يصيب الاجساد، سأقول انه اصاب الروح، ثم أعياها، ولان الانسان مُحاط بها يعتل لعلتها، انا لا اؤمن بالسحر المادي، الذي هو كما يقولون بالمأكل والمشرب فهذه سموم تختلط عند الناس ويوهمون أنفسهم بأن الاعتلال الجسدي جاء من سحر، السحر هو سهم ناري من العين، اتعلم عن اي سهم اتحدث؟ عن أشياء لا يمكن تفسيرها أو رؤيتها.

حتى الرؤيا أن عرجنا عليها، فإنها عالم مثالي لا يمكن ان يكون مجرد انفعالات عصبية أو هي تلك الرمزية الجميلة لما نخفيه من نزاعات و رغبات ، أو أن نصفها بأنها اللاوعي الذي يقودنا لغير واقعنا، نعم إذا فرقنا بين الحلم والرؤيا، سنجد ذلك، بين العقل اللاواعي أثناء نومنا وبين التقاء الارواح او سفرها لاماكن لا نعلم كيف سافرت وجاءتنا بأخبارها؟ فروق جمة، هناك من الرؤى ما تتأول كأنها قدر محتوم.

- انا : ما زال في الروح تفسير ارغب سماعه.

- هو : الروح ليست النفس يا عبدالله، احفظ هذا جيداً، الأرواح المتشابهة تلتقي وبعيداً عن التفسيرات التي تخلط ما

بين النفس والروح، فإن الارواح تألف من يشبهها، اتعلم بماذا يا عبدالله؟

- انا : اذن لا يمكن ان يكون تشابه او تآلف الا بعد ان نتكلم، فلا يمكن أن نقول عن صورة ، هذه ألفها – اقصد صاحبة الصورة– حسب تعريفك المادي!
- هو : جئت بما يختصر علي عناء البحث في موضوع شائك، إذن تحدث معي لأرى روحك، تحدث لأرى هل نتشابه بالأفكار؟ نعم هذه هي الروح، فكم من أناس اعجبتك صورهم لكنك لم تشعر بهم فأهملتهم.
- انا : عذراً للمقاطعة، ان تعشق جسد تحتاج لروح تُشبه ذلك الجسد لتكتمل الصورة، الجسد بدون روح مجرد دمية وما ان نتعرف على مكنوناتها حتى نصل لتلك القناعة الاخيرة اما التقبل او الاشمئزاز.
- هو : لما الاشمئزاز، لماذا تختار هكذا الفاظ يا عبدالله، لا نحتقر من لا يتوافق معنا، على العكس هذه تجربة تضاف لرصيد روحك لتتمكن من صقلها جيداً، لا يمكن ان نجمع الأشياء الجيدة فحسب ، فكيف لنا أن نشعر بالأسى ونحن لم نلمسه؟

فعلاً ، هناك من نألفه من النظرة الاولى، للحد الذي يحدثنا عقلنا باللاوعي اننا تحدثنا اليهم، بل تصل احياناً اننا نعلم كيف يمط شفتيه الى جهة ما إذا ما تحدث وما هي نبرة الصوت، السيدة لم تتحدث معي ولم اقرأ لها او عنها لكني شعرت انني اعرفها من قبل ان اكون، قد تكون الروح هي الطاقة التي تمتلكها والتي تجذبني بقوة كي أختبئ تحت ابطيها، او تلك الهالة الخضراء التي تحيط بها وتعدم الجاذبية عندي حتى اشعر عند رؤيتها اني اطير بجناحين.

إذن هناك شخص واحد لا تنطبق عليه قوانين الكون، يشرب فترتوي، يمرض فتتألم، شخص واحد تلتئم جروحك برؤيته خلقك الله من روحه، لا تبحث عنه، سيأتيك بقوة الروح، فاذا وجدته تمسك به جيدا.

- هو : اراك سرحت عني بعيداً، بماذا تفكر؟
- انا : لا شيء، إذن ما اكتسبته من معرفة هي الروح وكلما زادت معرفتك بالأشياء ارتفع قدرها وتسامت.
- هو : مادياً هي ما يبقى بعد فناءِك، لا يمكن أن يفنى الجسد دون النفس، فناءها حتمي بالمعية، يفنى معهما كل ما صدر من انفعالات ويبقى ما يمكن للأخرين رؤيته او سماعه او

تخيله، ولا اعني الذاكرة فحسب، الذين عشنا معهم وأخذوا مكانهم من ذاكرتنا، بل حتى الذين لم نلتقي بهم البتة.

- انا : كيف بمن لم يتحدث او يصدر عنه اي فعل او نعرفه مسبقاً ان يشدنا اليه، او بعبارة اخرى كيف لأحدهم أن يحتلنا بنظرة ونشعر بشيء لطيف يسري بسائر أجسادنا ولم نتحدث معه ولا بكلمة،
- هو : ما زالت الروح تختبئ في غياهب الكون العميق، لا يمكن ان نتصورها، او أن "تصبر على ما لم تحط به خبرا" ، لكننا نحاول الغوص في أعماق بحر لا قرار له، فيه من الدرر ما لا عين رأت، وفيه أيضا من المخاطر ما لا يخطر على قلب بشر، هي عالم ثانٍ يجردنا من حقيقتنا ليسافر فينا الى الثقب الاسود ثم نعود منه ببضع ثوان، الروح هي النور الذي زرعه الله فينا ، الذي يضيء لنا دروب الحياة، ومسالك الاخرة، العين الثاقبة التي ترى مالا تستطيع العين من رؤيته، هي اليد التي تلمس جوهر المخلوقات، هي الأذن التي تسمع ما لم ننطق به..

يسكت وانا فاغر الفم كأنني ذلك التلميذ الذي يحاول فهم الدرس اولاً، ثم حفظه، ليقصّ ما تعلّمه على مسامع أمه .

انفض نفسي واستجمع ما بقي من عقلي لا حاول مجاراته، وها قد تحول من مكانه ورجع خلف مكتبه وهو ينظر الي بنظرة تساؤل واستغراب وقد قطب جبينه وعقد حاجبيه، ثم قال لي بنبرة غالبها صيغة أمر : لا تعمم ما تحمله من معرفة، فليس كل البشر يفهمون ما تريد، الساذج يعيش بجسده فلا يحتاج أن يرهق عقله بتفاهات، ارفد الناس بمقدار ما يستوعبون، اليس من شروط الخطابة مغازلة الناس بحجم عقولهم؟ النقاش لا يصلح إلا مع النظير، فلا تكن محط سخرية وأنت تتحدث لأناس لا يرتقون لفكرك فيرموك بالجنون،

- انا : قلت تفاهاتنا؟
- هو : نعم ، هم يرونها هكذا، لذلك يجب أن تحمل الأشياء على محمل النقص، والبشر على محمل الحسد، لا تفصح عن نيتك لاحد، حتى لامك، فأنها قد تنوي اسعادك ودون دراية ستؤذيك، كن على حذر وضع مسافة آمنة مع الآخرين، عاملهم بسجيتك، ازرع الطيب حتى لو كان في غير محله، الكون يا سيدي الكريم منظومة خُلقت بإتقان وما نحن الا حبة رمل في صحراء عظيمة، يرجع الصدى يوما ما، وتتحقق العدالة، وستحصد ما زرعت لا محال، ردة الفعل الكونية، تصيب فعلك ، تذكر هذا جيداً.

- انا : وكيف لي ان اعرف اني اسات او عملت صالحاً؟
- هو : لسنا في محل تصنيف الأعمال، لكنني أقولها عن يقين، قد لا يروق للناس حتى الحق، لكن هكذا صُنع الكون، باليقين المتقن، لا ظن يثلمه، ولا شية فيه، اتبع الحق الذي لا يحتمل وجهين، وسيؤول الأمر الى النجاح حتماً، حتى وان ظنّ غيرك انك مخطئ الناس يا سيدي تريد من الحق ما يناسبهم ولا يتقاطع معهم، ما يكسي عورات عيوبهم.
- انا : ولمَ الحسد والحقد وغير ذلك يا دكتور.
- هو : نحن البشر جُبلنا على هذا، السيء والحسن ، الخير والشر، تجد التحذير في ديننا من مغبة الخوض بالظنون مثلاً، لأنها لأتهدم علاقاتنا الدنيوية مع بعضنا البعض فحسب، بل قد تصل الى الظن فيما لا يحق لنا الظن فيه.

يا سيدي الكريم احياناً المجتمع او المحيط يجبرك، يشوه نظرتك دون أن تعلم ، لذلك تجد انسان بمنتهى الرُقي لكنه اكتسب صفة الشك مما قد اصطدم فيه او سمعه من قصص محيطه، لا تلمه ، فهو قد تربى على ذلك ، حاول ان تُبلغه مأمنه فهو يعيش شعور الخوف ان تكون انت احد الذين صادفهم او عاش معهم، قد لا يعلمون انهم اكتسبوا من غيرهم، لا

يتقبلون فكرة انهم ضحية مجتمع او محيط ضيق رسّب فيهم معتقدات دون أن ينتبهوا، الناس على دين أخِلاءهم فلا تبرر افعالك واقوالك في كل مرة يساء فهمك، فالقلوب المتسخة لا تطهر وإن بررت لها، اجعل من نفسك نسخة نادرة يتمنى الجميع اقتناءِك ولا تركن نفسك الا في قلب من يستحقك.

- أنا : إذن هي مجموعة أمراض تصيب النفس، أسبابها مكتسبة ولا يعي المعتل ذلك.
- هو : نعم، اعتقد ان ابشع ما يمر به المرء هو أن يدفع ثمن حسن ظنه وعاطفته الزائدة، يدفع الثمن لأنه كان نقياً اكثر مما يتوقع الناس، فأحياناً لا يُعتقد ان هناك نقاء الملائكة، لأن الغالبية جاورت الشياطين، كن ذاتك انت ولاتكن كما يريد المجتمع ومع هذا لا تنعزل عنهم انت جزء من هذه المنظومة، فأن أخذناهم على محمل العلة توجب علينا ان نحملهم عليها، لا أن نركن اصحابها في خانة السيئين، هذا لو استجابوا لك.

وبينما هو مسترسل بالحديث بدأت صورته تتلاشى أمامي و صوته يخفت، أشعر بارتعاشة بدأت في راسي ونزلت ترتعد مهرولة لأطرافي، بدء جسدي يرتعد، احس بيد الطبيب تجمع يديّ على صدري و

تمسكني بقوه، رغم الا لم اشعر بيد السيدة صاحبة الوجه الجميل تمسح رأسي وتعيذني "من شر النفاثات في العُقد" ،أخذ النعاس مني مأخذه وتسلل الى اركاني جميعها، بالكاد استطيع ان افتح عيني.

اعتقد ان هناك من يحملني ليأخذني لمكان ما، لكن جسدي اثقل من ان تحمله ايديهم، احاول بكل ما بقي عندي من أشلاء أن اعينهم على حملي، لا جدوى، آه ، ما هذا الصداع رباه، انفاس السيدة المتناثرة في اجواء الغرفة يعطيني القوة ، ويمنحني البقاء لوقت أطول في الحياة ، بدأت الشمس بالاختباء خلف المباني، تنام مبكرة شمس مدينتنا لتوقظني على أمل جديد، اشعر بهدوءٍ وسكينة وكأنني لا اذكر شيئاً غيرها.

لا أعلم كم مرّ من الوقت، اسمع اسمي بصوته اعتقد انه يحاول إيقاظي، احاول جاهداً التحدث لكنني لا أستطيع، هذه المرة الطبيب يحاول ان يربت على كتفي عليّ اصحو مما انا فيه، انا متعب جداً وكأنني لم انم منذ شهور، هل نمت انا حقاً؟ فتحت عيني بدأت باستيعاب ما انا فيه .

الساعة التي كانت في يدي ، أين هي؟ احاول الوقوف لأتخطى غرفة الطبيب متجها لغرفتي، الطريق طويل، لكنني اتخيل ان ما يفصل

غرفتي عن العيادة ممر، حتماً غابت السيدة الرائعة مع غروب الشمس، لم اشعر بالوقت، وكأنني ما لبثت إلا فكرة سريعة برقت بمخيلتي.

خرجت للتو، متجهاً الى مسكني، هي غرفة، اثاثها عبارة عن سرير ومفكرة وقلم وانا فقط، تبدو السماء جميلة جدا صافية كأنها عيون السيدة، المقاهي تزدحم بالسعداء، الاطفال يضحكون، رجل مسن يتعكز على كتف سيدته والرضا يعتلي وجوههم التي حفر العمر عليها أخاديد حب وسكينه، الجو لطيف جداً رغم ثقل خطواتي الا اني اشعر بأن سعادتي أكبر من المدينة التي اعيش فيها، الأشياء من حولي اجمل بكثير من ملامحي، لماذا لا تُمطر رغم اني اشم رائحة المطر وهو يعانق الأرض؟ الطريق طويل حتى اصل غرفتي البائسة، لعلي اراها ترقص اذا ما وصلتها، لا اعلم كم قطعت من المسافة؟ لكنني سأصل غرفتي التي تعتلي سطح أحد المباني في "بغداد"، اسكنها منذ زمن ليس ببعيد، غرفتي هي وطني، وها قد وصلت وطني، مجرد التفكير بالسيدة صاحبة الخصلتين ذاتا اللون الأشقر، يعطيني الامل.

ان هناك اشياء جميلة على كوكبنا لم تُكتشف بعد، الاشياء الجميلة أقدار تُساق إلينا في توقيت مُحكم .

اريد ان اغرق بنومٍ هانئ ، منذ أشهر لم أنم ساعتين متواصلة، لا أشعر بالجوع او العطش، لا احتاج الى شئ سوى أن أستلقي على سريري الحديدي واضم رأسي بين فخذيّ تحت أغطيتي المطرزة بلون الثلج.

ا يُعقل انها تحمل كل هذا الكم من الجمال ؟

لماذا تعمل؟

الملكات يجلسنَّ على عرش

العمل اكتمال شخصيتها

لماذا لا افكر بشيء غيرها؟

لما لا أفرغ راسي المتهالك وانام؟

السرير دافئ وعطر الاغطية مختلف، اعتقد ان هذه انفاسها قد اختبأت بملابسي ليس الا، سأفرغ رأسي مما حدث اليوم، سقف الغرفة مختلف، كأنه قطعة من السماء، الريح تغازل ستائر النافذة المتهرئة ، رغم ضجيج المدينة الا ان طبول رأسي أشد صخبا .

هل البسطاء يُغرمون؟

نعم يُغرمون ويتغازلون من دون تكلف، يُغرمون دون أن ينتقوا من معاجم اللغة معانٍ صعبة الفهم لمجرد ادعائهم الثقافة، دون أن يشربوا القهوة في احدى المقاهي على ساحل أنطاليا أو في الطابق الأخير من برج خليفة، لا يحتاجون لسماع المقطوعة الاربعون لموزارت أو يتهادون

ساعات الرولكس، البسطاء اجمل منا، يا الله كم مر من الوقت، أشعر أن رأسي أكبر من مساحة الغرفة، لم اصلي منذ وقت طويل.

لم اراها حين خرجتُ، لكنني شممت عطرها وبقايا انفاسها المتناثرة هنا وهناك، حتماً ساراها غداً، اذن لأنم جيداً، لكنني..!

لا ادري كم الساعة الآن ، غير اني اسمع صخب الدراجات النارية، وصوت الباعة، مازالت المدينة لم تنم ، ماذا لو تعكزتُ على الحائط وصنعت لنفسي فنجان من القهوة، طعم السيجارة يختلف معها، طعم القهوة عندي مختلف، رغم ما يدّعون الناس انها مذاقها مرٌ إلا أني أجد طعمها حلواً، سأقرأ ما مكتوب في فنجاني، في قاع الفنجان شجرة، اراها واضحة، وهناك فرس بجناحين، سأتمكن من فك رموزها.

علمتني قراءة الفنجان جارتي المسيحية المسنة، التي كنت ازورها بين حين وآخر، حينما كانت تدعوني لشرب القهوة وتقرأه لي، بعد فترة من الزمن تعلمت كيف افك رموز الفنجان، هي بالحقيقة مجرد طاقة ايجابية تسعد المستمع، يعتقد اننا نقرأ مستقبله، لكن الحقيقة هي اننا نُهديه كلمات تملأ صدره راحة ليستمر بحياته، لكنني فعلا ارى شجرة كبيرة وحصان ذو جناحين، الشجرة تعني العطاء والظل والسكينة، والحصان يعني القوة أو السفر لكن بجناحين! لا ادري ما المقصود منها؟

قد يكون هذا ايحاء ان هناك سفر لا رجعة فيه، يارب اشعر بصداع ينهش مخي، انا بأمس الحاجة لمن يخبرني بأنني لابأس ان اكون عادياً فحسب، لا يجب ان اكون خارقاً ابداً، ان يربت على كتفي، أنا بحاجة لأصابعها تتخلل بين خصلات شعري.

احيانا يطلب منك أحدهم أن تصبر، وهو لا يشعر بحجم ما تعاني ، يحاول يمنحك الهدوء بكلمات لكنه لا يعلم انك تعرف كل ما سوف يقوله وقد حاولت وحاولت دون جدوى، حتى أسقطتك الهموم لثقلها على كاهلك.

رباه وعظمتك اني مثقل سامحني او امنحني القوة لاقف بين يديك، انا مكتظ يا رب، راسي مزدحم، فكيف وانت قلت : "ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى" وهل اعلم ما سأقول؟ ماذا لو ذكرتها بدل الفاتحة؟ انا استحي منك ربي، امنحني الطمأنينة، لم اجد اثمن منها لا طلبها منك يا رب، امنحني اياها، عليّ انام، اني متكئً بكل ثقلي على الدعاء، ولا أملك غيره.

﴿قالَ كذلِك قالَ ربّك هُوَ عليّ هيّن﴾

علينا ألّا نفكّر في صعوبة الظروف، بل في عظمة الخالق الذي ندعوه.

اظنّ اني تأخرت بالنوم، هذه ساعتي على الطاولة، إنها التاسعة صباحاً.

الارق اقضّ مضجعي، والا لم ذوّب اضلعي، والبعد ادمى مدمعي، فلا صوت يُسمع، ولا صداع يهجع، ولا عافية ترجع، ولا اراني شاعرٌ، بيد ان الوجع يبتدع العبارات المنتقاة، لا اعلم متى نمت؟ لكنني لم انم، كوابيس واحلام كثيرة، ترتفع حرارتي تارة وارتعش من البرد تارة اخرى، التحِفُ ما على سريري من اغطية مرة وارميها أخرى، لا قيض في جسدي واغسله بالماء والبرد والثلج، ولا هو قُر فأشعل النار قربه، وكأنني لست أنا، لا علة اعرفها فأذهب للعطار اكمدها، ولا هي مس فيأتي الشيخ يرقيها، اراني سجعت مما كنت الوذ به ايام الصبابة، الشعر كان هوايتي قبل أن تأخذ الدنيا مني مأخذها.

أعتقد أنني استغرقت لبضع ثوان بالنوم ، اتذكر اني رأيت جدتي بالحلم، كانت عند رأسي وهذه المرة كانت اجمل واصغر من عمرها بكثير، همست بصوتها الدافئ: لا تتأخر اشتقت اليك، انتظرك، ثم ذهبت من حيث اتت.

جَلستْ كما كنت انا اجلس عند رأسها قبل وفاتها، كانت توصيني بنفسي كلما رأتني، الا هذه المرة، كنت حين اشعر بالتعب أضع رأسي على حجرها، تتمتم بكلمات لم افهم يوماً هذه الكلمات لكنها اشبه

بسر من اسرار الصوفية اعطاها اياها أحد اقطابهم، فأشعر بالسكينة وامتلأ بالتفاؤل، كانت حين تضيق نفسها تطلب مني أن آخذها الى مرقد احد الاولياء الصالحين، ذهبت معها مرة واحدة فقط، كنا نجلس بالساعات نتبارز بالشعر البدوي، كانت تغازل صورة جدي الذي سبقها بعشرة اعوام الى دار الخلد، ما زلت احتفظ بكيس نقودها القماش ذو اللون النفطي، كما تسميه هي، كان زاخراً بالخير، لم ينفد يوماً عطاؤه، حتى قدّاحتها التي تعمل بالنفط الابيض والتي كانت تسميها – زناد– لازلت احتفظ بها وبعض من عطرها وصورتها.

كانت دائماً تقول لي : "لا تقل لا استطيع، انت تستطيع ، فقط توكل، اذهب سيوافق ما تريده طريقك، سر بذات الاتجاه الذي تراه مناسباً لك، وان كان طويل، فما الذي ستجنيه اذا ما جلست عندي، لن يسير الطريق نحوك، الدنيا ممرات ومسالك، مُعبدة او صعبة، وانت الراكب والراجل، احمل نفسك حتى تصل غايتك وإن كانت في شعاب الجبال، فما ظنك بربك الكريم ؟ لعل ما تسير نحوه ينتظرك على مقربة، وانت لا تراه، قالت لا تتأخر، انتظرك وذهبت.

أشعر بضجيج يملأ راسي، اتمنى القوة التي تمكنني من أن استحم وارتدي اجمل مالدي سوف اذهب مبكراً، اجلس امام السيدة، اتنفسها، املأ صدري بعبير انفاسها، احياناً يُساق لك شخص من

اقصى القدر، نقي، لا تعلم كيف التقيته، ومتى تحدثت اليه اول مره، نعمة صادفتها وبقيت معك لأخر العمر.

يجب أن نتخلى عن الأشياء التي تشعرنا بالنقص، لكن قبل ذلك، من الضروري أن نتعلم كيف نتخلى عن فكرة اننا شيء عادي، انا اجمل ما صادفت، انا اجمل الاماكن التي احتوت ذاتي، انا الأمان لذاتي.

قرأت عندما كنت في فوضى الشباب للفيلسوف ارسطو، أنه قال "لا تبحث عن قيمتك في أعين الناس، إبحث عنها في ضميرك، فإذا إرتاح الضمير ارتفع المقام وإذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك".

لكن كل كلمة قيلت، من جاهل كان او متعلم، من طفل او بالغ، بقصد او بدونه، كانت تأخذ مساحتها في رأسي، كيف لي ان اتخطى أحداث وأقوال؟ كيف اتعلم الا افسر ما ينطق به البشر؟ كيف لي ان احمله على اللغط؟

عموماً، وحتى لا ابدد بهجتي وارمي بسعادتي من نافذتي، لأكن متفائل، التفاؤل يجلب السعد حتماً.

أنا أشعر بحالة من الشغف تشدني بكل ما أوتيت من ضعف، لأرتمي بين أحضانها، أشعر برغبة لمحادثتها، قد تكون شغوفة هي الاخرى لكن بغيري، وما شأنك بها..!

من قال اني اريد منها ان تبادلني ما اشعر به!

هل تعلقت بها؟ او اني قد أحببتها، لا اريد منها المقابل، فالحب والرغبة والشغف حالة تخص الفرد.

لا نرجو من الغير أن يبادلنا الشيء ذاته، ساحبها أنا، أراقبها دون أن تنتبه، سأكون لها سنداً اذا احتاجت لشيء ستجدني امامها، احفظ عنها المواعيد، تاريخ ميلادها، الارقام في هاتفها، سأكون عقلها ودفئها، دون مقابل، قد تكون قدري وقد سُجلت، سأهديها الدعاء بظهر الغيب، الدعاء لا يُرد ابداً.

يا الله احفظها واكلئها وتولها، وانا حتماً سأكون بخير، ان رأيتها تنعم بالراحة والسعادة، فانا اعلم يا الله، انك تحبني وتسمع انيني.

القي امنياتك في السماء، تتلقفها الملائكة، وترجع بالبشرى، ثِق.

أواه، تأخرت كثيراً، اخذتني جدتي عن موعدي، سأرتدي اليوم بدلة، لكن أي بدلة؟

لا اعلم، لكنني سأكون اوسم رجل قابلته السيدة الجميلة في حياتها.

الجلسة الثانية

الخميس/ الثامن عشر من تشرين الثاني.

يُقدّم الانسان اجمل ما عنده عندما يُترك على سجيته لا حين يؤمر، لذا اعتقد ان الانسان يكون اقرب للمثالية عندما يكون مستقر نفسيا، اذن انا مثالي، أو سأقترب منها، لم تطلب مني أن أكون انيقاً او مهذباً، لكنني ارى ذلك أقل ما يجب تقديراً لهيبتها.

اسوأ الفترات حزناً هي التي يكون فيها وجعك في داخلك، لا يراه غيرك، ولا يعلمه أحد، يظنون انك في نعيم، تستجدي بعينيك عطف احدهم، دون ان تشرح له، حتى اقربهم منك، يحاول تجاهل ما فيك، فقط ليبعد نفسه عن أي مسؤولية قد تقع عليه.

انا لا اعتقد ان الكلام الذي يصدر من شخص وهو في أعلى حالات الشد العصبي صادقة، هي مجرد تفريغ شحنات، الصدق تجده في هدوء النفس، أليس كذلك؟

الإنسان العصبي دائما يكون نظيفاً من الداخل ويظل أفضل بألف مرة من ذلك الهادئ الخبيث، نعم هي رأتني بحالتي المهزوزة، ستراني اليوم بمنتهى الطمأنينة، اتمنى ان لا اتأتأ او ارتعش، اود محادثتها.

تجمهر الدم في وجهي، وجفّ ريقي، بدأت ضربات قلبي بالتسارع، صوت فيروز في رأسي، اظن ان احدى اغنياتها علقت في ذهني، لا انا حقاً اسمع اغنيتها" نسم علينا الهوى من مفرق الوادي" .

كلما اقتربت منها انتابتني حالة من القلق، ارتب ملابسي وكلماتي، سأنتقي اعذبها، واهديها أجمل المعاني واروعها.

سأقول لها : انا معجب بكِ جداً، اراقب تصرفاتكِ كلها او جلها، اتأمل حركاتك، صمتك، حركة شفاهك وانتي تتحدثين، اطيل فيكِ النظر، ادقق في تفاصيلك، ثيابك، خصلات شعرك المتدلية على خديكِ، صبغ اظافركِ، اساوركِ، عيناك الجميلتان يخطفان انفاسي، وجهكِ الذي يجلب الراحة حين انفرد في النظر اليه، انفاسك العطرة التي تتسلل من خلالي كأنها روح سماوية.

انا أُحبكِ هل تعلمين بذلك؟

ها قد وصلتْ الطمأنينة، متجهة نحوي، اراها عبر نافذة الباب النصف مكشوف، صوت فيروز يخرج من جهازها الخلوي، رباه، امنحني طلاقة اللسان وهدوء الاركان، وسكينة الجنان، ستدخل على فارس بقلب نقي، وراس خالي من الذنب.

السيدة الملائكية تتخطى امامي كفراشة حول الزهور، كيف خلقها الله بهذا الابداع الصوري والروحي؟ فستان جميل، فضفاض باللون البني

الشاحب، صمم ليكون لها فقط، قطعة واحدة لا أزرار ولا اكمام فيها، تخرج يديها من نهايات جانبي الثوب، وشاح يغطي نصف رأسها، غالبه اللون البني، وخطوط متعرجة متداخلة مع بعضها البعض تتدرج فيها ألوان القهوة حسب مدة تحميصها، تلبسه بطريقة حجاب النساء في إيران، تربط نهاياته تحت عنقها ويتدلى الباقي على صدرها، تضع نظارتها الشمسية على رأسها كأنها تاج اميرة، تغطي الجزء الخلفي من رأسها، أما الخصلتان مازالا يداعبان خديها ولُجين جبينها، انفاسها عصير قناني العطر التي صنعها الفرنسيون منذ عدة اعوام، تشبه الفتيات بعمر الأربع عشرة ربيعاً، تعطي امل ان الجمال صورة للروح، مرآة تعكس ما بداخلها.

- هي : مساءك خيراً، كيف تشعر اليوم؟

أسناني تصطك واكتافي ترتعد، لباقتي تتوارى خلف هزة رأسي المزعجة وانعدام توازني، دعوتك يارب ان تمنحني ساعة تطلق لساني معها، آه كم تحبني يارب، أما احببت غيري لتمنحني كل هذا الوجع وكم الخيبات .

يزداد ارتعاشي، احاول جاهداً التحدث ولو بحرف واحد، ثم من اين لي ان اتحدث؟ والجنيّة قد أكلت لساني.

تسترسل هي بمنتهى العطف : لا عليك، اهدأ، مازال هناك وقت طويل على موعدك.

احاول ان اكتب لها ما كنت اريد قوله، لكن ..

تذهب، لتكمل أعمالها، اراها من خلف الباب، اشم اثير عطرها.

ان الشخص شديد الذكاء بطبعه يجري محادثات مع الآخرين في خياله أكثر من المحادثات التي يجريها معهم في الحقيقة، فإن الوقت الذي يستغرقه في المحادثات داخل دماغه يكون اطول من المحادثات الفعلية، وهذه العملية ترتبط بالتحليل الذهني العالي، لكنني اريد ان القي في حضرتها كلمات، لا اريد خطابا.

احاول الكتابة بعد ان هدأت اطرافي او على اقل تقدير يدي الشمال، لتنطق الاوراق بما عجزت عنه الألسن.

سيدتي الرقيقة جداً، الرقراقة كانسياب الماء من بين يدي الحوريات على شواطئ أنهار الجنة.

تدهشني عفويتك ، تلقائيتك ، تدهشني رقة ملامحك، ودفء نظراتك التي تحتويني، أيتها الاصيلة في زمن هش، الشاهقة رغم انحدار القيم.

ممكن ان تكون قد سمعتْ من الإطراء والمدح ما يصبغ وجنتيها بلون الشفق، ويغري أنوثتها، فلا اظن سائق سيارة الاجرة، وهو يرى صورتها لوحة مرسومة على مرآته الوسطية، سيكون من الذين يغضون

أبصارهم، ولا يؤمن بأن الله جميل ويحب الجمال، كل الذين مروا بجانبها، كانوا يغازلونها وهم متجهين لأعمالهم، او عابري سبيل، فقط لانهم رأوا جمالها، اعتقد انك كنتِ تشعرين بنشوة الانتصار لأنك الاجمل من بينهن، لكن يبقى واحد، واحد فقط، يقول لك كل الكلام الجميل كما يراك هو، يؤثرك على نفسه، يغازلك حتى وان لم يرى منك إلا خصلات شعرك تتدلى من شباك فيروز وانتِ تشربين قهوة الصباح، على انغام الموشحات الاندلسية، واحد فقط، لا يمكن أن تتقدمي بالعمر امامه ابداً، لا يشيب شعرك في عينيه، لا يرى فيك الا الكمال، يرى روحك بعين روحه، يسمعك قبل أن تنطقين، يلامس اوجاعك قبل أن تشعري بها، فتطيب، ذاك هو الذي مرّ من خلالك.

كلهم يريدون ان يكملوا ما شح عندهم، او ان يجربوا طعماً جديداً، واحد فقط، من يقدسك، من يسمع صمتك، يراك كل حين رغم ابتعادك عنه، هو من يصنع لك غرور يليق بكِ.

الوقت يمضي، وهي مازالت تنظر اليّ من خلف الباب النصف محتجب بين الفينة والاخرى.

اتفقت الساعات على الإسراع لتنهي اللقاء بيننا، رغم ان اللقاء لايُعد في مجمع الفقه أنه لقاء، نظرات سادتي الأكارم لا أكثر.

تسير هذه المرة باتجاهي بخطى ثقيلة، تعض طرف شفتها السُفلى بأسنانها، حركة لا أعلم لها تفسيراً، فليس كل ما قالوه في قوانين لغة الجسد ينطبق عليها، فهي نظرية لا تدحض،

أ تتألم أم أنها ممتعضة من شيء ما؟

تفتح الباب وتمد يدها أشارة منها ان تفضل فقد حان وقت الجلسة.

اعتقد ان الجلسة تؤلم المريض كما يرون هم، لكنني استمتع بالوقت الذي اقضيه معهم جداً، سريان التيار الكهربائي بجسدي يعيد توازني، رغم الالم لكن الرعشة التي تنفضني كثياب تنفضها امرأة لتطرد آخر قطرة ماء من عليها قبل أن يأتي الصبح كي يرتديها ولدها الصغير الذاهب إلى مدرسته ولا يملك سوى هذه القطعة.

توصلني الى غرفة الطبيب، وهي تمشي بجانبي، بطرف عيني اختلس النظر اليها لأحظى برؤية عِطفها، ها قد وصلنا الغرفة، تدخلني وتبقى تنتظرنا في الخارج.

- انا : مساء الخير دكتور الساعة الآن الثالثة تماماً.
- هو : مساء الخير، انت محترم واكيد تحترم مواعيدك، كيف حالك اليوم؟
- انا : شكراً، في داخلي اشعر بالتحسن، بيد ان كلماتي مازالت تخرج بصعوبة.

- هـو : لا تهـتم سـتكون جلسـتنا هـذا اليـوم ممتعـة جـداً، سـأجيبك عـن اي معـنى يخطـر ببالـك ونبـدأ بتحليلـه وإذا تقاطعت معك بالرأي اومئ لي براسك، ما رأيك؟
- انا : كيفما تحب دكتور.
- هو : إذن دعنا نجلس قرب النافذة ونشرب فنجانين قهوة.

ذاتها الغرفة، وكأنما لم يدخلها غيري، الأشياء ذاتها، لم تتحرك حتى الأوراق التي كانت على ظهر مكتبه.

يجلسني على اريكة الاستراحة البيضاء قرب النافذة ثم يسحب كرسياً ويجلس أمامي، يبدأ بربط الاسلاك في الجهاز المجاور للأريكة، ثم يرخي ظهره على كرسيه، ويبدأ بالسؤال : كيف نمت الليلة البارحة؟

- انا : لا اعلم، لكنني اشعر بنوع من الراحة.
- هو : هذا ما كنا نبغيه.
- أنا : دكتور، اريد شرحاً يروي ظمأ عطشي المعرفي عن عالم الرؤى، تحدثنا كثيراً ليلة امس، لكنني ارغب بالمزيد عن هذه الظاهرة.
- هو : لك ما تحب، استرخي، سوف نتجاذب أطراف المعرفة في هذا الموضوع،

الرؤيا أيها الوسيم : هي القليل من العلم الإلهي الذي اعطانا اياه الله جل وعلا ألم يقل لنا سبحانه " وما أوتيتم من العلم الا قليلا" إذن القليل من العلم الذي منحنا الله اياه يكفينا لتفسير بعض الأشياء الغير منطقية والتي تحدث في هذا الكون وان كان على مستوى ضيق لا يتعدى مفهومنا القاصر.

ولان الاحداث عنده سبحانه حدثت بعلمه الازلي ولم نصل الى تأويل بعضها إلى الآن ، فعندما يخبرنا الله عز وجل بصيغة الماضي " ونُفخ في الصور" وهو لم يُنفخ إلى الآن، هذا ان الاحداث بعلمه قد تحققت، الزمن عندما يتحرك عندنا ذلك لحركة الكون كله، لحركتنا نحن الدائمة أما عنده سبحانه فالزمن مخلوق كما نحن، الله سبحانه خارج الزمن والوقت، وكل الاحداث المستقبلية التي جاءت بصيغة الماضي، هي حقيقة كائنة لا محال، نصل إليها يوما ما.

- انا : اظن ان الموضوع اكبر من فهمي.
- هو : ليس كذلك، سنأخذ الموضوع ببساطة حتى نصل للفهم الذي يريح عقلك، بادئ ذي بدء لا يمكن أن نكون نحن بمستوى علم الأنبياء لكن سنتحدث عن الجنس البشري فحسب، نبي الله يوسف عليه السلام رأى رؤيا، فأخبر بها

والده، نعم، كانت رؤياه بمنتهى الرمزية الا انها تحققت كما رآها وقال فرحاً : "يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا".

كيف رأى؟ لا اتحدث عن معجزة الان، اتحدث عن انسان، يمتلك الروح التي تحدثنا عنها، قطعاً الروح أزكى عند الأنبياء والرسل، ودرجة صفاء ارواحهم اعلى لاشك في ذلك، وتتدرج إلى الأولياء والصالحين وحسُن اولئك رفيقا، فمنا القاسطون ومنا ما دون ذلك.

الرؤيا يا سيد عبدالله هي نظرة الروح الثاقبة للأحداث التي ستكون قبل ان نصل الى الزمن الذي يقتضي تحقيقها.

الكون حدث واحد، تم واكتمل، فرؤيا أحدنا هي عين الروح التي ترى المستقبل الكائن منذ بدأ الخلق، وليس كل الاحلام هي رؤى حقيقية، فهناك انفعالات بالعقل اللاواعي أو مجموعة أحداث يرويها العقل في حالة النوم، وهو ايضاً يستخدم الرمزية لحمل الأحداث، فيجب أن نُفرق بينهما.

- انا : لم افهم دكتور.
- هو : الله تبارك وتعالى تمت كلمته ولا مبدل لكلماته، اذن آلت الأحداث كلها الى ما قضى الله ان تؤول اليه، وكأن كل

ما نمر به قد حدث، لما لا نستغرب عندما يسبق ضوء الانفجار صوته، الاحداث جرت يا سيدي الكريم، بسرعة الضوء ونحن نصل إليها كالصوت المتأخر، لا اقصد الفيزيائية بكلامي، فقط للتشبيه.

ان الله بعلمه المتناهي قضى واحكم وقدر ثم استوى على كرسيه، ننتظر التأويل الحق الذي تم بكلمته سبحانه من قبل أن نُخلق،

الاحداث موجودة والسير نحوها حتمي لأننا نسير باتجاه واحد نحو الحقيقة الحتمية التأويل.

وهذه الجزئية البسيطة من العلم التي منحها الله للإنسان في نفخة الروح، هي من ترى مالا تراه العين البشرية، بسفر يقظة أو منام، تأكد من شيء وان كنا قد ذهبنا بعيداً عن نقطة الاصل، لكننا يجب ان نمر خلال ما يعترضنا لتتجلى الصورة وتتضح ملامحها، لم يجبرنا الله على الأفعال التي نقوم بها الإيمان ومادون أو النقيض ومخلفاته، كله اختيار، وكلٍ وصلَ لما اختاره، وسلك ما يحب ويرغب، بمحض إرادته، كلها بإرادتنا الشخصية دون تدخل، حتى من يعتقد انه مُجبر هو بالحقيقة في صراع مع نفسه، لم يجبره احد، لكن قلة أو انعدام

الإدراك يكون نتيجته انعدام الوعي، فكيف لنا أن نعيّ الأشياء دون أن ندرك ماهيتها، الإدراك يعتبر شرطا مسبقا للوعي فأنت لا يمكن أن تكون واعيا لشيء ما أن لم تكن مدركا له أولا.

الكون كله تحت تصرفنا، إدراكنا الجسدي الملموس يفتح باباً للوعي، فيكون الاختيار على قدر وعيُنا.

لذا نجد أكثرهم نجاحاً، أكثرهم وعياً، وقد نتج كل كذلك من الادراك المسبق لكل اختيار.

سأعطي مثالاً ليكن جملة اعتراضية بعيدة عن الموضوع لكنها جزء من المفهوم بالمجمل.

يفرقع أصابعه الطبيب ثم يخللها بين خصلات شعره، ويسحب سيجارة من علبته، يشعلها وبعد اول نفس يبتسم ويكمل حديثه.

لو وضعنا عشرة من الجنسين أمام خط سباق، وفي نهاية المضمار وضعنا طاوله عليها قطع ذهبية واخرى فضية واخرى من النحاس.

- انا : نعم دكتور اكمل.
- هو : وبدون شروط المسابقة، كل واحد يصل له حظ من العملات لكن الوقت لا يتعدى العشرون ثانية على سبيل المثال.

- انا : سيصلون ويأخذ كل نصيبه.

وبابتسامة ساخرة يستخدمها المنتصرون، وبعد شهقة نفس من عقب السيجارة، يهز رأسه كناية عن الرضا ويقول :

- نعم، كل نصيبه، لكن المسابقة لم تحدد نصيب الفرد منهم، لكنها وضعت شرطين يدركهما المتسابقون جيدا وهذا دون أن تكون الشروط مكتوبة في ورقة، اولا: يكون اسرعهم ليصل ويستثمر الثواني في جمع النقود قبل أن يعيقه الآخرون صاحب الحظ الاوفر، والثاني أن يحافظ على توازنه مع السرعة لئلا يسقط فيخسر السباق والنقود، ثم الذي يليه، أو أي سيناريو آخر، كم مشهد تستطيع أن تتخيله؟
- انا : لا اعلم ماذا تعني، لكن استمر انت بالشرح.
- هو : حسناً، من يصل اولاً سيجمع القطع الذهبية بأقل وقت ثم يأخذ من الفضة حتى ينفد الوقت، والذي يليه كذلك، ثم يزدحم الذين يصلون سويةً فيأخذ كل منهما بحسب حركته، والاخير لا شيء يجده على الطاولة، ومن ينتظر الدور لن يحصل على شيء، ثم لنفترض ان الاول الذي أخذ الذهب كله وبعض من الفضة، منح الذي سقط في نصف الطريق قطعة واحدة او اثنتين او اي عدد تريده أنت.

هنا نحلل القصة الخيالية هذه، المضمار هي الدنيا، والسباق هو السعي، ولكل مجتهد نصيب، أليس كذلك؟

اللجنة قسمت القطع لتكفي الكل، لكن لم تحدد نصيب الفرد، أخذ كل واحد نصيبه من القسمة، الأوفر حظاً هو الذي لم تصادفه حجرة تعيق تقدمه، والذي يليه ثم الذي يليه، والاقل حظاً هو من قِبلَ من غيره فُتات ما كسبه، ولا ننسى التوفيق الالهي الذي يحيط بنا.

- انا : افهم من مثالك هذا، أن القسمة والنصيب فهمُنا لها خاطئ.
- هو : أن نصنع منها شماعة اختياراتنا الخاطئة، وسوء إدارتنا للأزمات، و تقاعسنا، نعم، خاطئ يا عبدالله ، القسمة هي الأرزاق التي منحها الله لعباده بالمجمل، والنصيب هو ما يحصل عليه الفرد بجهده وإدراكه ولطف الله به بعد توكله عليه، لاتجلس وتنتظر، اجتهد لتصل وتأخذ من الطاولة ما قسمه الله لك.
- انا : الحظ بينهن.
- هو : ليس بالضبط، لكنه التوفيق بعد التوكل، الّا يصادفك عائق، ان يؤخر لك من تريد لقاءه فينتظر، أن تتوافق مع ما

تريد دون عوائق، أن تتعثر قليلاً فتتأخر كي تمر شاحنة من امامك وانت مشغول بهاتفك فلا تصدمك، ومن هذا كثير.

وقبل أن يقوم من كرسيه ويتجه نحو الباب، ثم يلتفت الي وبنبرة التخيل اني سمعتها من قبل هذا يقول : اللطف الالهي الذي يحيط بنا يا عبدالله، يسبق كل شيء..

ثم يبتسم قبل ان يفتح الباب ويسألني فيما اذا ارغب بفنجان قهوة او لا، اشير له براسي بالقبول.

يفتح الباب وينادي سكرتيرته، سمرا ممكن فنجانين من القهوة إذا سمحتِ.

وبعد بضع دقائق لم يتحدث أحدنا مع الآخر ويسود المكان صمت مطبق إلا ضجيج رأسي الذي لا يسمعه غيري، تدخل السيدة "سمرا" بفنجانين قهوة وكأنها ملاك ، ملأت الغرفة بأثير انفاسها الزاكية، هي ليست انثى فحسب ، هي الف انثى اجتمعن بجسد انثى.

وضعت فنجان القهوة أمامي وكأنها وهبتني ملك لا ينبغي لغيري، من اين لي ان امسك الفنجان لعل اصابعي توافق طبع اصابعها، لعلها شربت قبلي من ذات الفنجان، من أي شفة؟ لعل شفاهي توافق طبع شفاها، وبلا قصدٍ مني يلامس اديم يدي ظاهر يدها، ترتعش كلها وكأن الا لم الذي كان بداخلي مر خلالها، ودون أن تلتفت

تغادر المكان، وانا أُشيّعها بنظري حتى غلّقت الباب، وبعد ذاك الصمت، يسألني ان كنت ارغب بسيجارة مما يدخنه هو، فأجيب بنعم، ثم يقول: مازلنا في غمار الروح وما فيها يا عبدالله، فماذا بعد.

انا :التأويل هو التفسير، أليس كذلك؟

- هو : البتة، التفسير للظواهر ، أما التأويل هو للنتائج، ونقول هذا ما آلت إليه، أي ما وصلت اليه، يوسف لم يفسر رؤياه لابيه بل اراه اياها حقاً واقعاً امام الاعين، وقتها قال هذا تأويل رؤياي أي أن هذه هي حقيقة ما آلت إليه رؤياي.

التأويل هو الحقيقة الواقعة لحدث ما، كنا ننتظره، أو نتيجة ملموسة لنظرية، والرؤى ماهي الا جزء وإن كان ضئيلا يتناسب ومستوى العقل البشري من العلم الالهي الازلي يخص به الخلق ليروا برمزية بعض الاحداث المستقبلية.

وأنا هنا لا يمكن أن اكون بمنطقة الضد مع من يرى ويبحث عن تفسير او فك طلاسم الرموز لتطيب به روحه ان كان خيرا، او يستعد لدرء الشر إن كان سوءً، ألم تكن الرؤيا على جناح طائر كيفما فُسر وقع ، اما حدثتنا جداتنا أن لا نُخبر بما نرى في عالم الاحلام الا لمن يحبنا.

حتى رؤياك الجميلة لاتقصصها لأحد، تذكر نصيحة يعقوب لابنه "قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ".

- انا : ما زلت احاول ربط المواضيع الخاصة بالروح ببعضها، لا تنزعج مني ارجوك.
- هو : على الرحب والسعة، انا هنا لأجيب عمّا يدور في ذهنك.
- انا: ممتن لسمو اخلاقك سيدي، لماذا أمره الّا يقصص رؤياه؟
- هو : خشية أن يحسدوه عليها فيكيدوا له.
- انا : الحسد على رؤيا!
- هو : على أي شيء نُحسد يا عبدالله ، أما لماذا؟ فهذا طبع بشري، كل منا يتمنى ان يكون افضل من غيره، ولأننا لم نتساوى بالعطايا نبقى ننظر لبعضنا البعض، ألم اقل لك ان تحمل الأشياء على النقص، فلا كمال في الدنيا أوَ لم تفهم الدنيا من اسمها،

عموماً الحسد طاقة لا نعلم كنهها، لكننا نعترف بوجودها ومدى تأثرنا بعين الحاسد، فلو كل منا استبدل هذه العاطفة بعاطفة الغبطة، فبدل أن يتمنى زوال النعمة منك، يتمنى لك دوامها ويسعى أن يكون هو كما انت.

- انا : ما هو الحسد، وهل السحر حسد؟

يرشف اخر ما في فنجانه، اما انا ما زلت ابحث في محيط الفنجان عن قبلة لها، يضع الفنجان مقلوباً على صحنه ويقول لي : السحر يأتي من عين حاسدة، بيد أن الحسد لا يشترط أن يأتي من سحر.

لنبدأ بالحسد، وقد قلنا هو تمني زوال النعمة او تمني الحاق ما في الحاسد من ضرر او نقص فيك وغير ذلك من السلبيات، أما حقيقته وان كانت غير ملموسة ومازالت من ضمن الأشياء الغيبية، الا اننا ما زلنا ندير رحى الروح ولسنا ببعيدين عنها، وهذه لها علاقة بتلك، العين الحاسدة لا يمكن إلا أن تكون طاقة روحية سيئة تؤثر على الروح المقابلة سلباً، لأنها هي الكرة الاثيرية التي تحيط بالإنسان فيحتم على أذاها اذى الجسد حتماً، ثم تنقلب الموازين كلها، والسحر منه التخيلي ذاك الذي يوهم الانسان ليرى الحقيقة زائفة، او ما ينحدر اسفل ليصل الى الشعوذة.

إن المنهج العلمي ورغم إنجازاته التي غيرت من شكل الحياة وأدواته المبهرة، إلا أنه يقف عاجزاً عن تفسير طبيعة الروح البشرية التي هي سر وجود الإنسان.

وبما انهما مترابطان – الحسد والسحر– في أذية الروح والجسد لذلك لا نفرق بينهما، وكلاهما طاقة سيئة نفاذة الريح النتنة تخترق الروح فتصيبُها بالأذى وتتسلل إلى الجسد فتتسبب بعلته.

نظر الطبيب إليّ مبتسماً، رغم تصبب العرق من على جبيني وبدى عليّ التعب، ارتعاشة خفيفة في رأسي وكأن تيار كهربائي يسري في جسدي.

– سألني : ما رأيك بفنجان قهوة آخر، فأومأت بالقبول.

نادى من خلف الباب : سمرا، هل بالإمكان ان تصنعي لنا فنجاني قهوة، فتجيب : على الرحب والسعة.

وبينما هو يتأمل فنجانه الذي قلبه قبل قليل، اشعر ان ضربات قلبي بدأت تزداد، رغم الضجيج الذي يحدثه جسدي المرتجف، الا اني اصغي لدندنة نبضي، انتظر بشغف دخولها البهي، وبعد برهة دخلت تحمل القهوة، وقبل ان يرشف منها يسالني عما يدور في رأسي، فأجيبه بسؤال :

– ما هو الجمال بمفهومك؟

يبتسم ثم يقول : الجمال! حسناً، بدءا يجب ان نتفق ان الجمال يفسر الأشياء وتوازنها في الطبيعة ويعتمد على العاطفة والبهجة في عمق

الوعي الحسي، وهذا الامر يختلف من شخص لآخر، فما تراه جميل يراه غيرك قبيح وما تراه مبالغ فيه يراه غيرك شيء عادي.

ثمة من يعتبره علم قائم على نظريات وقوانين تحكم الجسد بمقاسات عالمية، وثمة من يقول ان الجمال هو انعكاسه لدواخلنا، وانا اقول يا ايها الجميل، الجمال هو ان ترى الروح التي تسكن الجسد و تألفها، أن تتوافق انت مع الذات الاخرى ، من منا لا يرى امه اجمل نساء الارض؟ هذا لأنك جزء من ذاتها، كذلك النساء، عندما نتحدث عن الجمال، كل منا يستحضر صورة في مخيلته، فتجده يرى كل الوجود جميل.

- انا : وماذا عن الحب يا سيدي.

ضحك حتى بانت نواجذه ثم قال : الجمال وبعده الحب! أراك قد شُفيت،

حسناً، الموضوع مازال احد اسرار الروح، لا يعلم الكثير عن الحب شيئاً ولست منفرداً بفلسفة الحب بقدر ما أراه ملائماً وحقيقته ، فالحب حالة اثيرية تشبه الروح أو هي منها، انصهار روحين تستحيل روحاً واحدة، الحب لايُبنى على معرفة مسبقة او اعجاب ليس بشرط أو كما قيل قديماً " نظرة فابتسامة فموعد .." لا، هي ارتجاف قلب يغيرك من الداخل، يستولي على كل مافيك تغيير في ديموغرافية العقل ،

نبض يتسارع، وشفاه ترتعش واركان لاتتوازن ، الحب يخرق قوانين الفيزياء كما الرصاصة التي تخترق قلب انسان فترديه قتيلاً ، عبد الله الحديث عن الحب يحتاج لجلسات.

- انا : استرسل دكتور، احببت حديثك،
- هو : الحب يا عبدالله احساس لا يمكن ان يمر به الإنسان لمجرد أنه أُعجب بشخص ما، قد يمر أحدنا بلحظة تختصر العمر كله، اتعلم يا عبدالله إن الذي نشعر به من الود مع الكل هو حب .
- انا: لا اقصد ما تعنيه .
- هو : آه ، اعلم ولكني اردت ان اقول شيئاً ، الحب الذي اعنيه وتقصده، هو تسامى الأرواح لتسكن وسط غيمة، فيكون المستحيل ممكن والمجرد ملموس هو ان تترفع عن الادمية وتلتحق بركب الملائكة،
- انا : هل هذا ملزم للطرفين؟
- هو: اسمو انتَ لمن يستحق السمو فكيف يمكن ان تحب شخصاً لا ينصهر بكَ ومن قال ان هذا هو حب ، الحب احساس لا يمكن أن يكذب ابدا، الم اقل لكَ انه اسمى مافي الوجود.

من أطلقها يعني إصابتك، اذن حب مع سبق إصرار وترصد كما يقولون في العلم الجنائي، الحب هو ذاك الشعور المختلف الذي لاتفسير له الا انك امتلكت العالم بأسره، نور يسطع في القلب فيضئ ظلمته ويؤنس وحدته ، هو ذاك الذي تجاوز القوانين المادية كلها ليمر من خلالك وكانه نسمة صيف باردة ارتعد لها كل عضو فيك، تلاطمت المئتين وست عظمه، ارتجف قلبك، ذلك الشخص الذي يقف أمامك بكيانه فتشعر انه بداخلك كانه انت الا ملامحك، هو تلك المدامة التي تصعد لرأسك فتذهب عقلك وتطرب قلبك وتفصح لسانك وتعدم جاذبية الأرض، الحب هو ان تمتزج بمن تحب امتزاج الماء بالماء لا يمكن تخليصه من بعضه.

الحب هو يقين مطلق أن مَن مر بداخلك يعنيك أنت، لا تبحث في ماضٍ ولى ولاتسأل كيف عاش قبلك، ليطمئن قلبك ..

فإن قلبك اصبح ملكه، واقد اطمئن بعد ان ارتعش وسكن، والحب ليس جنس.

- انا : ما الفرق بينهما؟

- هو: بين الحب والجنس فروق حاسمة تجعل من غير المحتمل أن يكونا من أصل واحد، تتجلى هذه الفروق على أفضل وجه عندما تتعارض كلتا الظاهرتين في شكلها الأنقى.

وبينما اود مقاطعته بسؤال تركني على ذات المكان وراح يجلس خلف مكتبه، وبيده فنجانه، وكأنه قرأ في عيني تعجباً ما، بادر بالحديث موضحاً ما اريده انا بقوله : الجنس حافز بيولوجي نتاج للكيمياء العضوية، أما الحب فتوق انفعالي شديد من ابداع خيال الفرد، هذا يخص الجسد وهذا الروح.

في الجنس دافع للتخلص من توتر عضوي، أما في الحب فحاجة للفرار من الشعور بالنقص والقصور.

الجنس مشترك بين البشر والبهائم، أما الحب والغرام فقد ظل مجهولا آلاف السنين لدى بني البشر ولا يزال مجهولا بالنسبة لملايين منهم الى الآن، فالأول يرخي العضلات، والثاني يفتح قنوات الخير الغزير في الشخصية، وحتى المشبع جنسيا يمكن أن يشعر بلوعة الحب.

الدافع الجنسي يخمد بعد الفعل واللذة الأولى لا يمكن تذكرها أو استرجاعها، شأنه شأن الطعام الذي لا يمكن استرجاع نكهته بعد تناوله، أما في ظاهرة الحب فلا يمكن ملاحظة مثل هذه اللامبالاة، فكل ايماءة وكل كلمة من الحبيب يتم تذكرها بصورة مشرقة.

ان الإغـراء الجنسـي يتلاشـى بعـد الفعـل، أمـا الإغـراء الآخـر فطبيعتُـه باقية، أرأيت الفرق بينهما ؟

كثير من الرجال وعدد أقل من النساء يخلطون بين هاتين الحاجتين، عندما يتحد الحب والجنس ويتجه الاثنين نحو الموضوع ذاته، يكون من الصعب أحيانا معرفة أي من الحاجتين يحظى بحصة الأسد.

الحـب غايـة روحيـة تتسـم بالسـمو، والجـنس وسـيلة لإسـكات الجسـد شأنها شأن قضاء الحاجة، الحب حاجة روحية أما الجنس فما هو إلا تلبية جسدية.

هنـا يسـكت قلـيلاً، بعـد ان رآني ارتعـد وسمـع صـرير اسـناني المـزعج، احاول التحدث اليه، لكن حتى التأتأة اختفت، هاج بركان الجسد ولا مناص مما اعاني، كل مفصل في جسدي يرتعد، أشعر وكأنني اتناثر هنا وهناك، انظر اشلائي تملأ المكان، لا أقوى على جمعها، مَن عبأ هذا الجسد كفيل بجمع عظامه مرات عدة، لا اعترض على ما أنا فيه، لكنني أُشفق على نفسي.

لا اعلم ما الذي حدث بعد ان سقطت مغشياً عليّ، أنا في غرفتي، من اتى بي الى هنا؟

وبأي حالة خرجت من العيادة؟

لايزال الوقت يقف مكتوف الايدي امام الثامنة مساءً، فلا متسع من الوقت للخروج حتى وان كان، كيف لي ان اخرج وانا اتعكز على جدران غرفتي؟ ليت الوقت يمشي مسرعاً لا ستجدي النعاس من ذاكرة الوسادة واحتضن عطف الشراشف فأغفوا ولو لمرة دون أن يحتفل عقلي بصخب كل ليلة.

أشم رائحة شواء، لعل ذاكرتي تحتفل بمرور عشر سنين على آخر مرة خرجت مع اصدقائي الى مكان مفتوح يسوده الهدوء والصمت ويغطيه لون الحشائش الأخضر، بعض الزهور البرية، وبرك ماء من بقايا زخات فبراير، وقتها كنا نشوي لحم ضأن، لا ذاكرتي .

الكتابة تتعبني احياناً، لكنها السبيل الوحيد لأدون ما يحدث، منفضة السجائر تمتلئ ببقايا أعقاب ملتوية، وفناجين القهوة تحتاج لعرافة تفك اسرار ما مكتوب فيها، وبين سيجارة وفنجان قهوة، اتوسل بعقلي أن يهدأ، ان يمنحني السلام ولو لليلة واحدة انامها بعمق الأطفال، دونما كابوس يرعبني او حرارة تحرق ما على جلدي من ثياب.

الرياح وصخب الحياة في المدينة التي اسكن فيها تختبئ خلف شبابيك غرفتي، فإن الحياة هنا قائمةً في الليل والنهار والحركة دائمة على مدار اليوم إذ يخرج الكثير من الأشخاص ليلًا لقضاء حاجاتهم، حتى في

الليل لن يجد الشخص الهدوء، إنّما تتميز بصخبها والأصوات الدائمة التي تعلو في الكثير من مناطقها لأسبابٍ عديدةٍ ومختلفةٍ، تشهد الأماكن القريبة من البناية التي اقطن فيها ازدحام المطاعم والباعة المتجولين فالبعض يُفضلون العيش في هذه الأجواء، فيشعرون بوجود الأشخاص من حولهم، وأنّهم يعيشون في مناطق مأهولة من كل الجهات، وفيها العديد من الخدمات التي لم تعد تقتصر على ضروريات الحياة وحسب.

رغم اني طالما ما تمنيت ان اقضي باقي عمري في منطقة ريفية نائية، لا تمر فيها سيارة، ولايكسر صمتها صوت بائع انابيب الغاز، او غزل البنات، عموماً ها أنا ذا بينهم.

يجد الشخص كل ما يخطر على باله هاهنا، صانع الفطائر، ومحلات البقالة، ومطاعم الاكل السريع، فلا وقت للناس للجلوس على طاولة وانتظار النادل يحمل قائمة بالوجبات ليطلب ما تشتهي نفسه، الوقت يمضي بسرعة مذهلة، وكأنما انزلق من منحدر لا يعيقه عائق، اي شخص يحتاج لأيّ شيء وفي أيّ وقت يحصل عليه دون عناء أو طول انتظار، فكأنّه قد امتلك المصباح السحري الذي يُحقق له أمانيه، وإن خرج من المنزل في أيّ وقت يجد سيارات تقله الى وجهته التي يبغيها.

لكن لهذه الميزات الإيجابية ضريبة بالتأكيد، وضريبتها الصخب الذي يملأ مختلف أنحاء المدينة وشوارعها.

المدن التي يُوجد فيها كل شيءٍ بلا استثناء، ولا يضطر فيها الشخص لأيُّ خدمة إلا ويجدها حاضرةً قريبًا منه دون الذهاب إلى أماكن بعيدة للحصول عليها، تكون صاخبة بالضرورة، وبعيدة كل البعد عن الهدوء ولم تعرفه.

وانا بين ازدحام عجلاتهم وقرف اصواتهم التي تختلط مع بعضها البعض فتأتي مسامعي كأنها مطارق النحاسين في سوقهم، احاول الاختباء بوضع الوسائد فوق اذني، ولا جدوى اكيد.

الوقت عندهم سريع يقضى بين عمل واحتياجات وراحة، أما أنا فأجلس بين هذه الجدران الصامتة التي لم تطلب مني اي شئ، حتى القهوة لا اعلم متى اشتريتها آخر مرة، اما علب السجائر ابتاعها من محلات الجملة بالكميات التي تكفيني لأطول فترة زمنية،

الطعام! لا اعلم متى اشتهت نفسي لاكل معين، او متى شعرت بالجوع اصلاً، لطالما كنت الوك الوحدة خبزاً، مغمسة بالوجع، المهم اني لم امت الى الآن جوعاً.

الساعة الآن العاشرة صباحاً إلا قليلاً

استيقظت متأخراً، لا اعلم متى ذهب الصداع، متى تَركني وشأني؟ لماذا يحب السهر معي؟ الا يوجد عنده صديق غيري، أترى يحبني لهذا الحد؟ أظنه غادر رأسي متأخرا بعد منتصف الليل، أو ان النعاس ازاحه عن مجلسه واحتل مكانه، على اي حال، اشعر بأنني نمت جيداً.

ثمة أشياء لا مناص منها، وقد اعتدت على ذلك منذ ما يزيد عن شهرين.

احياناً، عمق معرفتنا بجوهر الاشياء يعطينا شيء من الحدس والفراسة قبل ان يتكلم الشخص، ليس تكهناً بقدر ما هو فطنة مكتسبة من تجارب جمة، وهذا ما يجعلنا نقترب او نحاول الاختباء منهم.

رغم اني اقف بالضد مع بعض المسميات القاسية التي يستخدمها الاخرين والتي من شأنها كسر اواصر التعايش، فأنا اتقبل الانسان كيفما كان مادام في حدود التعايش، لا أجبر على حبه او التقرب منه، لكن التعامل معه يكون بفقه اخلاقي انا، الذي من شأنه أن يقودني حيث التودد واللطف والإحسان حتى مع الاساءة.

لم تكن ليلة عابرة، كانت اختصار لعمر كامل في ليلة واحدة، شعور دافئ، احساس لا أعطيه حقه في الوصف، رغم كل اوجاعها.

دعتني ليلة البارحة السيدة سمرا لأتناول كوبا من الشاي معها، لم انتبه للوقت، لكنني لبيت الدعوة بمنتهى القبول، احترت اي بدلة تليق بمقام الدعوة هذه، وبعد حجم الفوضى الذي عم المكان، وقع الاختيار على بدلتي ذات اللون العسلي ومع قميصي الأزرق الفاتح وربطة تتناسق الوانها مع الاثنين، بعد ان حلقت ذقني، وهذّبت شاربي، اظن انني الان مستعد للقاء بكامل اناقتي، رغم اني لم ارى انعكاس صورتي في مرآتي الممتلئة بالبثور والدمامل .

منذ زمن لم اتزين هكذا، عطري الفرنسي، ساعة اليد ذات الماركة العالمية ، قداحتي الالكترونية باللون الذهبي علبة سجائري، كل هذه الاشياء اخذتها بنظر الاعتبار.

ركبت سيارتي الفارهة وتوجهت لمنزلها، لم يك بعيداً عني، الطريق رغم جماله وقصر مسافته الا انني شعرت بأنه أطول من عمري بعشرين عاماً، الأشجار على جانبيه تتشابك في الاعلى أغصانها، تلك التي فقدت الأوراق في خريف عمرها، تساقطت ودون رحمة جرفتها مياه الامطار الى مثواها الاخير، بعد أقل العشرين دقيقة وصلت باب منزلها، دلني عليه النور الذي يصدر منه، ركنت سيارتي وترجلت منها، وقفت أمام باب كبير وعالٍ جدا يحتضنه من جانبي خاصرته سور عظيم ، لا يستطيع أحد أن يظهره ولا يستطيعون له نقبا، وبعد أن

قرعتُ جرس الباب خرجت الملكة سمرا بسحرها وعذوبتها، فأضاءت ما حولها كأنها القمر ليلة اكتماله، مررنا خلال حديقة تحفها الزهور من كل حدب وصوب، ثم دخلنا القصر.

جميلة وساحرة كأنها "غراديفا" ذات الخطوات السحرية، تلبس ثوب من الحرير الفضي، يلامس جلدها بشغف، فلا يسمح للهواء بالمرور بينهما رغم فضفضته، يشف عن ساقيها الملتصقان ببعض، هالة تحيط بسرتها وسط بطنها المتكورة، تدور اللذة حولها أفلاك حول قرص الشمس، قباب الثلج التي تبرز منهما منارات تهدي ضلالتي لضالتي.

مدت لي يدها وادخلتني صالة الضيوف، كانت كبيرة ومميزة، المكان يزدحم بها، لا شيء يثير الدهشة فيه غيرها رغم اناقته، المصابيح لا يتعدى ضوئها مكانه، ما يضئ المكان هو وجهها.

اخذتني الى طاولة فخمة على طرفيها المتقابلين كرسيين فقط وكأسي شراب احمر وشمعة تتوسط هذا كله، كان عطرها يسبقها بكل حركة، لأول مرة ارى شعرها الذي يغطي ظهرها ويتدلى على مؤخرتها، يصنع ثوب فوق ثوبها، أكمام الثوب قصيرة وعريضة، كلما أشارتْ لشيء رأيت بياض إبطُها.

أحاول عبثاً ودون جدوى كبح جماح رغبتي ، نبض الوقت يتسارع على جدران الزمن يختصر اللقاء، يقتطع المشاهد التي تجمعنا وكأنه أحد رجال الدين الذين يحرمون علينا ويحلون لا نفسهم.

وما ان لامس الكأس فمها حتى اختلط دم العصير بالحمر شفاهها، فهاج بصدري بركان أخشى ان يرمي بشررهِ فوق نهديها، وعلى أنغام الموسيقى التي تداعب مشاعر المكان فتثير فيه شهوة الرقص الماجن، فبعض الموسيقى أشبه بغجرية تتلاطم اثدائها من وراء الثوب الذي لا يغطي أي شيء فيها وسط جمهور ثمل.

وبعد زفراتٍ عميقة صعّدتُها ، وقفت بجانبها داعياً إياها للرقص، فأخذتها من تحت ذراعها لأسافر بها الى أبعد غيمة.

لم اكن اسمع الموسيقى بقدر ما كنت استمع لنبض قلبك، واترجم كل نبضة بألف معنى،

لم استطع التفريق بين عطرك المميز الذي يغفو على رقبتك وبين عطر انفاسك، ما أطيب عِطفك، وما اروع ريحها.

- هي : أوَ تحبني كل هذا الحب؟

حينما كنت انظر بعينيك كنت أغوص بعالمك أستحيل نجما في سمائك،

الحب كلمة لا ينبغي لها أن تصر على بقائها بهذين الحرفين فقط، عليها أن تنشطر وتتكاثر وتملأ الدنيا حروف، نعم احبك اكثر مما يتخيله عقلك.

وما ان التقت الأنفاس ببعضها حتى تجاذبنا اطراف القُبل، كان الحديث علكة تلوكها شفاهنا، حين امتزج ريقها بريقي غرست حلمتيها بأديم صدري وهوى نجمي الساطع لينير ظلمة ماتخفيه عن الدنيا، وما بين هَيت لك ومعاذ الله ذابت الشمعة وهي تحتضن خيطها المشتعل رأسه، تهاوت على الأرض بقعة الضوء وملأت المكان بعبق سحرها ، اغرقت السجادة التي كنا نقف عليها بعذوبة انوثتها.

بأي كف احتويك وانتِ بهذا الكمّ من اللطافة والرقة، امتزج العطر بقطرات الماء الذي تفجر من مساماتها فكان طلٌ تنساب قطراته بين شقوق عشقي، ابتلت الارض فاهتزت وربت وانبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة رغبة، فهل بعد هذا يغيض الماء؟

جلسنا مرة اخرى على ذات الطاولة نتحدث بلغة العيون تارة ولمس الاصابع اخرى، كم مر من الوقت لا ندري، لكننا اختصرنا العمر كله.

- هي : الاشياء الجميلة تأتي متأخرة.

– انا : لا ياسيدة العشق والخمر واللذة الأقدار تجمع الارواح ما ان توافق إلتقاء الاجساد التي تحملها.

تحركت من مكانها لتكون بجانبي الايسر ثم قالت : اريد ان اضع رأسي على صدرك.

وما ان وضعت رأسها على صدري ودب السكون أرجاء الجسدين لا صوت الا انفاسنا تتعانق في سماء الصالة، واخذت نشوة الحب منا مأخذها صرنا سُكارى وما نحن بسكارى ولكن الأمر ياسادتي عظيم، حتى خرق الصمت الذي عمنا والبس المكان ثوب السكينة والهدوء، صوت عذب يداعب الروح، انه صوت مئذنة المسجد القريب من منزلها إيذانا بقدوم فجر الصادقين،

هذا الوقت الذي ينبثق من بين فرث الظلام ودم السكون يحمل نسيماً سائغاً للشاعرين ليذوب بين أصابع الشمس معلناً بدء أمل جديد وتنشد العصافير التي باتت ليلتها على اغصان الاشجار العارية اعذب الالحان.

في هذا الوقت يتبخر البشر من الشوارع، فكل المشاغل تنتهي قبل حلول الفجر وينام الناس، كلهم ينجزون أعمالهم قبل أن يسمعوا الأذان، حتى العاهرات يهجعنّ قبل صوت المنادي حتى لا يشعرن بالخجل من الله.

وبينما كنا نتهيأ لنقف صفاً انا وهي لنديم الصلة بين المخلوق وربه، وانا اعلمها الاستقامة بقامتها والاستواء باعتدالِها وأن تسد الخُلل، رغم أنها لا خُلة فيها.

سمعنا صوت طرق الباب، وكأن الطارق استخدم قضيبا من الحديد فقمتُ مفزوعاً ابحث عنها، كنا نقف ها هنا سوياً لنؤديها على وجهها الأكمل، الأمر كله حُلم، وما هذا الا صوت بائع اسطوانات الغاز يطرق على الحديد بمطرقة من حديد،

أراني كنت اعبئَ الليل سرابا وأحسب أن الغيث يسقط في خوابي.

رغم أحداثه الطويلة الا انه قد لا يكون تجاوزت مدته ثوانٍ تُعد على أصابع اليد، لكنني مازلت اشعر بلذته، حتى عطرها ها انا اشمه حقيقة في غرفتي، راسي ثقيل جدا يضج بالاصوات وجسدي يلتصق على السرير كأنه جثة هامدة.

تُرى اهذه رؤيا ام اضغاث احلام، من يفسر لي ما رأيته؟ ومن الذي أسره رؤياي فتقع من جناح طائر كما أريدها أن تقع، ومن قال انها ستقع .

الاحلام اجمل بطبيعتها من الواقع تسافر الروح لتنعم بما لايستطيع الجسد بلوغه، تلتقي بمن تُحب الحديث معه دون تكلف او خوف، لغة الأرواح لا تخطئ.

لم يبقى متسعاً من الوقت، اتهيأ لجلسة اليوم، سألتقي بها حتماً.

الجلسة الثالثة

الجمعة، العشرون من شهر تشرين الثاني.

أحيانًا يجب عليك التخطي مهما كلفك الأمر ومهما كان صعبًا، يجب عليك أن تمضي قدمًا ...

وإلا ستبقى عالقًا في حزنك، تجاوز ما يعيق راحتك، تخطى حزنك ، افكارك السلبية ، ظنونك، انفض رأسك من الوساوس كلها، تأكد انك في كنف من هو أرحم منك عليك، فقط امضي.

تذكر ان الفجر يسمو وينشر ريحه الطيّب حين يولد من رحم الليل ليذوب بين أصابع الشمس.

عقرب الدقائق والساعات يتعانقان عند الثانية عشر ظهراً، العيادة مغلقة، المعتاد ان ارى السيدة سمرا هنا في هذا الوقت، ارجوا ان تكون بخير، اتمنى انها تصل وهي بأتم صحة وأحسن حال، بدأ الوقت يرتجف وارخى الصمت سدوله، لا أحد خلف الباب يمشي، لا صوت سيارات ولا ضجيج باعة متجولة، كلنا ننتظر شروق السيدة، تأخرت رغم ان الوقت ابطئ من ايامي المثقلات بالألم، لكنه يمشي، ارتعاش يدي زاد والهزة المزعجة في رقبتي بدأت تتحرك كأنها حبل مشنقة تتأرجح أمام محكوم تُنبأه بقرب موعد موته، مرت خمس دقائق اتمنى ان تصلَ سيدتي قبل ان اسقط، انا ارتجف.

سأجلس عند الباب لكن أخشى أن تسقط هيبتي وتُهان أناقتي إذا ما جاءت ورأتني كالمتسول أمام باب العيادة، لا اقوى على الجلوس، رباه، خفف من ضجيج راسي، الألم سيسقطني ارضاً.

مرت ساعة واخرى مر الوقت كله، اسمع طرق احذية تسير باتجاه الغرفة، أظنها اقدام رجل، ليس ظناً هذا اكيد.

فتحت عيني على صوت الطبيب يتحدث معي ويمسك بيدي، يجرني الى غرفته، اصطكت اسناني، لا استطيع الكلام ولا حتى المشي، يحاول ان يصل بي الى تلك الغرفة المزعجة،

كيف أسأله عن سمرا ؟ يجرني وكأنني جثة، ارجلي لا تسعفني لان اقف عليها، حمدا لله انها لم تأتي، فكيف تراني بهذه الهيئة المهينة؟

لا استطيع الكلام ولا الحركة، كل شيء فيّ قد تجمد، وصلنا غرفته، القاني على السرير الأبيض وعند رأسي أسلاك الكهرباء، أين انتِ؟ كنت أشعر بأنفاسك تتسلل جسدي لا الكهرباء.

– هو : ما بك، منذ متى وانت هنا؟

سألني هذا السؤال وهو يمسك بيدي، انشغلت عن الإجابة بما يحدث لجسدي في اللحظة ، بدأت أمواج الكهرباء تتلاطم داخل رأسي لتسير بلا استقامة في جسدي، كل مفاصلي ترتعد، السرير لا يحتمل ثورتي، سقطتُ من عليه مرتين، وافترشت الارض بجسدي المنهك

والاسلاك في راسي، رائحة الشواء مُقرفة للغاية، عفن الكذب الذي سمعته طيلة حياتي ملأ الغرفة، الغدر والحقد والغل الذي رأيته في البشر بدأ يخرج من عينيَّ، رائحة المكان تثير القيء.

وبينما هو ينظر اليّ مترقباً، كأنه يراني غير ماكنت عليه، اعتقد انه شعر بذاك النقص الذي اسقط جزءا كبيرا مني، بدأته بسؤال : لماذا انا هكذا؟

- هو : انت تعبت لان عقلك لا يستوعب هذا المجتمع، فعندما نرى الأشياء بوضوح ونتأمل مكنوناتها عن كثب ستتغير فكرتنا، وكلما تعمقنا بالأشياء كلما اخذت من طاقتنا وقدرتنا على التأقلم، لا تبتئس انت علمت جوهر الأشياء ورأيت ما لم يره غيرك لذا تسامت نفسك لترتفع فوق السحاب.
- انا : أوَ هكذا أُجازى؟
- هو : لا تنتظر من احد ان يعاملك بالمثل، انت تتعامل بشفافية اللاوعي التي لا يملكها المدرك بوعيه، لذلك أصبحت مختلفاً عن البشر ولا مكان للملائكة بيننا، فالإنسان إذا عمل بفطرته السليمة صار أفضل من الملائكة، لذلك سجد الملائكة كلهم لأبينا، واذا استخدم جانب الشر صار العن من

ابليس لذلك – الا ابليس كان من الجن فعصى ربه– لم يسجد له.

- هناك شيء يسيل من طرفي عيني، لا أظنني ابكي البتة، اعتقد ان روحي بدأت تذوب لتخرج من عيني بهذا الدفء، اشعر بدفء غير مسبوق يرتقي من اقدامي متجها لرأسي، تُرى اين سمرا ؟ لماذا لم تأتِ اليوم ؟ علّها بخير، اشعر بشيء يقف حائلا بيني وبين الطبيب، أشعر بعدم ارتياح.
- هو : هدّئ من روعك سيد عبد الله.
- انا : لماذا لا تشرح كما كنت تشرح قبل ذلك؟
- هو : لم يبقَ من الوقت ما يسمح، ولا داعي للشرح يا علي
- انا : لماذا يُعذب الله الذين يحبونه.
- هو : احذر من هذا، من أوهمك بهذا الشيء،

ليس كذلك، إذا أحب الله عبداً ابتلاه أي اختبره ليمنحه مكانة تليق به، لا يعني ابتلاه بمعنى آذاه، لا يجب أن نعلق كل ما يصيبنا على شماعة الابتلاء، الظالمين يمرضون ايضاً، هذا وهمٌ وظنٌ سيء وتقديرات لا تمت للحقيقة بصلة، الابتلاء اختبار تمر به لترتقي.

اتهام الدين بالأخطاء والقرآن بالخلل لم يأتي من فراغ، بل جاء بعد تفسير خاطئ لأناس لا ترعوي أن تدخل في مواضيع ليس بينهما أي سابق معرفة، لذا اجد الكثير من يحاولون الخوض في شحاح ماء آسن ليصنعوا منه "طين لازب"، وهناك من يُعجب بطرحٍ ما وصاحبه، لمجرد أنه لم يفهم من هذا الهراء شيء، وقد اقتاتوا على هذا فصارت صنعتهم اللك بالدين وتعاليمه، ولو انتبهوا لكل كلمة ما كان المقصود منها ولأي وقت تصلح لما تشظت الناس إلى كُتل تتناحر تحت مسمى الوصول إلى الغاية الأسمى، أن الغاية الأسمى هي ان تكون انسان اولاً، والبقية حتماً ستأتي.

الانسانية جامعة لكل معاني الخير، لا بل هي أنبل المجردات بعد سمو الروح.

- انا : لماذا لا نظن ببعضنا خيراً
- هو : الناس تعكس صورتها، لا شرح لك شيئاً عن الظن،

الظن اعتقاد راجح الا اذا وجد النقيض، وهو إدراك الذهن للشيء مع ترجيحه.

أما سوء الظّن فهو امتلاء القلب بما هو سيئ تجاه الناس، حتى يطفح على لسانه وجوارحه معه أبداً في الهمز واللمز،

والطعن والعيب، والبغض، بحيث يبغضهم ويبغضونه، يلعنهم ويلعنونه، ويحذرهم ويحذرون منه.

قد تنتشر في كل مجتمع آفة او مرض جسديٌ كان أو نفسي ومن اخطر الآفات التي تفتك بالأفراد على وجه الخصوص والمجتمعات عموماً هي سوء الظن، حيث يؤدي هذا المرض النفسي الى تفكك وتباعد بين الاواصر الاجتماعية وتمزيق اللحمة بين الأفراد وقد يصل الحال الى تخلٍّ قريب من قريب بسبب سوء ظن أحدهم دون رجاحته الى يقين.

والظنُ شك والشك انعدام الثقة بين اثنين او بين واحد ومجموع ويُعدم فيه التصديق ، فلا يشعر بعده – أي الشك – بالراحة والاطمئنان من اي كلام او فعل يصدر وإن كان المراد منه خيراً.

- انا : ولِمَ كل هذا؟
- هو : اسباب كثيرة منها أمراض القلوب؛ من غيرة وحسد وغلّ وبغضاء وأنانية، فإن ابتليّ احد بهذه الأمراض فإنّه يصل به الحال إلى إساءة الظّن بالآخرين، ممّا يؤدي إلى إنحدار منزلته بين الناس وحتى في محيطه الضيق.

احيانا الاستبداد بالرأي عند المخطئ، رغم رجحان خطاءه بعين الناصح يفتح المجال للآخرين في الوقوع بسوء الظّن اوقد يكون السبب الكِبر، لا نلتفت لنصح حبيب او مشورة قريب و تأخذنا العزة بأخطائنا فلا نرى صواب إلا ما يمليه عليه عقلنا وهنا نصل الى مرحلة " العمى " ولا نرى جميلاً إلا ما نصنعه نحن ونُقبّح الناس بعظيم أفعالهم.

وسوء الظن غالباً ما يكون ناجمٌ عن تفسير خاطئ لعبارة أو كلام أو تصرف ظاهر لا يقصد به ما يظنه سيء الظن ، ويبدأ بفكرة تتجلى فتحوّل اليقين الذي كان سائداً الى اعتقاد غالبه الشك فيبني على الشك أحداث خيالية تأخذ من القلب مأخذها، فكم من أناس ضاعوا بكلمة لا قصد منها، وقصد لا كلام يوفي حقه، فضاع منا ما ضاع، ما لم يختلِ المريض بنفسه ويرتب أفكاره بأنصاف ويرى قبحه دون كِبر وأنه سيء لا الناس من حوله، ستكون العواقب وخيمة لا محالة.

في الغالب تبقى متلازمة الشك فتزداد الهوّة بين الصادق والشكّاك وكلما اتسعت المسافة وكثُرت الفواصل كلما تمكن المرض من صاحبه حتى لا يرى ما يسره او يروي مُهج يقينه

من نفسه والآخرين، فيزداد سوءاً بعد سوء ولا يرى بعدها خيرا ابدا، وليس هنالك عقار لهذا الا اننا لو علمنا بأنه حساسية مفرطة وخيال واهم سنجد له علاج من داخل أنفسنا.

- انا : نحسن الظن حتى نجد ما يرجحه او خلاف ذلك، أليس كذلك؟
- هو : حسن الظن شريطة التصديق ما لم يكن هناك ما ينفيه دليلاً واضحاً جلياً لا يقبل الشك، فلسنا مكلفين بفتح القلوب وكشف النوايا، لكن الوسيلة الأجدر واليقين الصادق هو سؤالنا الدائم لأنفسنا لماذا ؟ المتأصلة مسبقاً، بأخلاق من نظن بهم، فـ لماذا لو استخدمت على وجهها الصحيح ستكون عقاراً ناجع المنفعة طارد الخبُث من القلوب ، ولماذا؟ أعني بها سؤال القلب عن بوادر الخير التي كانت تأتي سلفاً من الذين ظننا بهم غير ذلك وحالهم معنا قبل ما آلت إليه ظنوننا.
- انا : قبل ان اسألك عن الفرق بين الاعتقاد واليقين احكي لك حادثة برقت الآن في ذهني، فيها من السخرية ما يعطيك الحق بأن تضحك رغم بكائي.

في احدى الاماكن التي كنت اعمل بها أخبرني زميل لي ان زميلنا الآخر يجهز لي مكيدة بالاتفاق مع رئيسي بالعمل، رأيته في اليوم التالي كان يمشي بطريقة تشبه المجرمين، حديثه مغموس بالحقد والضغينة، حتى تحيته التي القاها اشبه برصاصة تخترق صدري، كانت تصرفاته تشبه تصرفات القتلة المأجورين، اشعر بأنه يتعرق خبث، رائحته كانت نتنة، كلما اقترب مني اخذت حذري منه، وعلى هذا الحال بضع ايام، لا اعرف كيف أتهيأ لصد هجومه المرتقب، لكني حذر جداً، كان يشغل تفكيري الوقت كله، في يوم ما وبعد فترة بسيطة مع الصراع الذي كابدته بسبب هذا الخبيث المتملق الذي ارى في عينيه الشر كله.

أرسل رئيسي بالعمل بطلبي لاجتماع ثنائي، بدأ الخوف يسيطر حتى كدت أسقط مغشياً علي، إلا أنني تمالكت نفسي وتهيأت لأي طارئ.

دخلت إليه فوجدت وجهه مبتسماً، وكأنه يريد أن يباغتني، هكذا هي الأفاعي، لكني كنت بمنتهى الحذر والفطنة.

قال لي : انا لم اراقبك لكني ارى عملك ولأنكم بنفس المستوى العلمي والكفاءة بالعمل يجب ان اختار الافضل، وبمساعدة زميلك فلان ..

هنا بدأت ضربات قلبي تتسارع فالحديث متناقض لكنني سأنتظر حتى يكمل لأنه ذكر اسم الزميل الخبيث..

أكمل حديثه بقوله : كان زميلك يشيد بك ليس على المستوى العلمي فحسب بل على صعيد الأخلاق والثقة والامانة العلمية، وهو من ساعدني في عدم الخوض في مغبة الاختيار الخاطئ، لذلك يا حضرة الاستاذ تم اختيارك لرئاسة العمل بدل مني لأني سأعتلي منصب آخر.

تجمد الدم في اطرافي وخرجت أجر خطواتي لا اعلم ما الذي صدمني، وأثناء خروجي وجدت زميلي الخبيث ينتظرني للمباركة، كان لطيف جداً، كان عطره مميز، ووجهه جميل وابتسامته تبث التفاؤل في المكان كله، وقفته وقفة رجل نبيل، حديثه حديث رجل نبيل، حتى مشيته، تدل على نبله.

- هو : اعتقادك انه سيء، جعلك تنظر له كذلك، عقلك اللاواعي رسم لك صورة سلبية، لأنك تركت عقلك لغيرك يملي عليه ما يشاء.

لأجيبك عما سألت آنفاً، الاعتقاد ظن راجح التصديق ما لم يتقدم ما يخالف ذلك.

اما اليقين فهو ايمان مطلق او اعتقاد لاشك فيه ، غلب عليه التصديق ظاهر، راسخ في الذهن واطمأن له القلب وسكنت له الجوارح ما لم يكن هناك ما يخالفه بما لا يقبل تأويل آخر.

والشك خلاف الثقة، والثقة اعتقاد بصدق شخص لاشك فيه وهو انقياد فلا نرى الواضح إلا من خلاله، ولا نسمع الحسِن الا عن طريق كلامه، ولا يحل محلها شك ابدا .

وكل هذا في النفس المطمئنة، النفس التي إذا مرضت أعيانا شفاءها، وكل الأفكار السيئة ماهي الا وهم لا يؤخذ به ما لم يكن هناك ظاهر يؤكد او ينافي .

- انا : كيف السبيل لحسن الظن بالناس؟
- هو : اعتقد ان الرجوع الى النفس ورؤية الأخطاء دون تجميل وتبرير والأخذ بأسباب ما حدث أو يحدث بروية، والانصاف دونما ظلم هو بادرة حسنة تسبق الشفاء من مرض مُقبح.

أن الظن إن كان خيراً كان شفاء من أمراض كثيرة تصيب القلوب واقصد به الظن الحسِن بالآخرين ، ولا اقصد ان نحسن الظن بمن أساءوا وتوالت اساءاتهم تباعاً او تفرقا الا ان

نعطيهم على بُعد من باب الحذر لا التشكيك شيئاً من الفرص التي قد تكون فاصلة بين أحداث مضت وأُخر جاءت بعطرها الزاكي.

ارخى الليل سدوله، لا اعلم ما الذي حدث في العيادة ومتى عدت الى هنا، اشعر بقشعريرة برد في كل جسدي، الطبول تقرع في رأسي، رغم الصمت المطبق الذي يهيمن على المكان اجمع.
انتِ تسمعيني، انا على يقين أننا التقينا قبل ان نُخلق، ارواحنا تعرف بعضها، انتِ تسمعيني، سمرا..سمرا..

اقسم بقلبي الذي لم ينبض قبلك لغيرك..
اقسم بعيني التي لم ترى اجمل منك ..
اني احبك.
الضجيج يحاصرني من كل مكان، الباب يرزع، النوافذ تضرب بعضها ببعض، الناس تصرخ في الخارج، ليسكت الجميع، أين اهرب منكم..؟
اصمتوا ... اصمتوا...

الغيبوبة

الأحد، الحادي والعشرون من شهر تشرين الثاني.

منذ البارحة وأنت تتنفس من خراطيم هذه الاجهزة، وانا اتنفس كلماتك في هذه الأوراق منذ أن فوجئتَ بهذا الخبر السيئ، منذ ساعات الصباح الاولى وانا احاول جاهدة لملمة شتات عقلي، وجر انفاسي.

ما قرأته لم يكن محض كلمات تُسطرها اصابع مغمسة بالحبر والا لم، لم تكن مجرد مشاعر انسابت على شكل حروف بين اصابعك، هي الحقيقة التي لم يراها غير وجدانك، ولم تسمعها سوى روحك، منذ الصباح وأنا اقرأ مذكراتك، لم اكن اسمع صوتك رغم البحة المفعمة بالحب والجمال في صوت الحروف التي أقراها الان للمرة الثالثة، لم افهم نظراتك، رغم القصائد التي تغنيها لي، خالط ظني يقينك فحملته انا على الجنون، وحملته انت على الحب، حملتك في نعش النقص، وحملتني على راحات الكمال.

هكذا نحن بنو البشر، نعظم بعضنا بعد الفقد، لو قرأت على مسامعي كل هذا ما كنت سأصدقك، فنحن نسمع الحقيقة بعد فوات أوانها.

لكن ولات حين مندم ايا المفعم بالإنسانية.

سأكمل ما بدأت أنت بكتابته، سأوثق كل لحظة، سأحدثك بلغة الصمت التي كنت أنت تحدث بها الأشياء والناس من حولك، سأنتظرك حتى تكلمني بلهجتك التي ما سمعتها الا بحفيف أوراقك البيضاء التي تترنم على كفيّ كطفل يلعب بين يدي أمه، سأبدأ بالكتابة ايها الطبيب المريض، ايها الفارس الوسيم وادون كل ما حدث ويحدث لك وأنت غائب.

دخلت غرفتك كما كنت أفعل في الجلستين الأولى والثانية، حتى آخذك الى الدكتور عبدالله لتأخذ جلستك الكهربائية التي بدأت منذ اربع ايام او اكثر، دخلتها فلم اجد سوى مفكرة محشوة بالكلمات وبدايتها كنت انا من احتل الكلمات، لم اكن اعرف نفسي قبل أن أقرأك، ادهشني الوصف العميق والتصور البالغ واعتقادك بأنك انت الطبيب وأن المريض النفسي هو ذات الطبيب الذي يصعقك كل ليلة.

لم استغرب من هذا التخيل حتى وأنك قد تخيلتني انا السكرتيرة او المساعدة لك اعلم هذا، اكيد لأكون قريبة من خيالك، وبعد اول سطرين، ذهبت مسرعة للطبيب المعالج اسال عنك، فأخبرني بما حدث فجر البارحة.

كلماتك نسفت كل ما درسته في موضوعات علم النفس، أحقاً إنك بهذا الحجم من الدراية والمعرفة لكل مايجري لك بعد كل جلسة! والتي يجب أن يخلد المريض بعدها الى النوم، كيف كنت تكتب بهذه الكيفية والانسيابية؟

حقاً لا يعرف الانسان الا نفسه، انت ذاتك الذي تعلم ما يجب صنعه، خلقنا الله تعالى بمنتهى الدقة، حتماً ان هذه المنظومة العالية الدقة والاتقان، فيها من التكييف الذي يجعل لها حماية ضد أي مرض، بحثت كثيراً وجدت جزء مهم في علم النفس يتحدث عن الحالات النفسية التي قد تؤدي الى أمراض جسدية ومن ثم الوفاة، الضغوط النفسية والتي هي تراكمات تترسب في الذاكرة، تجذب تلك التراكمات السلبية كل الأفكار السيئة، فلو تفاءلنا وجعلنا الدماغ يمتلئ بكم من الصور الجميلة للمستقبل القريب منه او البعيد لجذب لنا الاسعد.

اخبرني الدكتور عبدالله انك بعد جلسة الجمعة انتابتك حالة من الهيستيريا الشديدة وكان صراخك فقط، اين سمرا..؟ ثم اغميَ عليك وها انت ترقد في غيبوبة لا نعلم نهايتها متى.

رغم أن عواقب الفضفضة العن من عواقب الكتمان، إلا أننا نضطر احياناً لهذا حتى وإن كان لورقة صماء لا تسمع ولا ترد.

لا تقبع تحت سقف من الازمات التي ليس لك يد بها وماهي الا افكار سوداوية، إما عن ماضٍ ولى ورحل أو مستقبل لا نعلم خفاياه، أخرج تلك العنقاء التي وصفوها بالمستحيل من بين ركام نفسك، لا تجلس كمتسول تنتظر النصيب، النصيب موجود ومُقسم فأذهب لأخذ ما تستحق، لا تندب حظك، كل الدنيا مسخرة لك، اختر ما تراه مناسباً بعقلك او احتياجاتك، الازمات تذوب كما يذوب الثلج اذا ما طلعت الشمس، هكذا هي الدنيا.

أخرج إلى الدنيا كفارس يرتدي درعه ويمسك بيمينه سيفه وتقدم ، لا تحاول تحسين صورتك لأحد، من يعرفك يراك عاديا ومن يكرهك يراك مغرورا، الا ذاك الذي يحبك فهو يراك رائعاً.

كيف لك ان تصف وجودي بالطمأنينة التي تحيط بك؟ رغم بعدي عنك، وكيف كانت ليلتك التي لم تراني فيها؟ ولماذا كل هذا الحزن الذي أحاط بك؟

حالة الهيستيريا التي انتابتك ليلتها لم يكن لها مبرر إلا أنك كنت تعيش على أمل أنا لا أعلمه.

كثير من الألفاظ والمصطلحات التي خضنا فيها ترسبت بالأذهان فصار كل منا يتحدث بها، فيعتقد جهلاً انه مريض نسطاليجي أو مهووس بالأنا العليا، في حين الطبيعة البشرية تهوى ماضيها وتفخر به، ليس لتراث فحسب بل كلنا بدأنا حياة الطفولة متجهين نحو اعماراً مختلفة، وكل مرحلة بمستواها العقلي ترى الأشياء بذات العين لكن بتحليل العقل آن ذاك، ولأن اجملها الطفولة ودفء العائلة فمن الطبيعي واليقين الذي لا يخالطه شك يبقى الحنين إلى تلك المرحلة، بسذاجتها والسطحية التي تعتريها، فالإنسان كلما غاص بالتجارب كلما زاد الضغط الخارجي عليه، يحتاج اذن الى متنفس، دون ان يعتقد انه مريض، الحنين الى الماضي لحظة صفاء ولقاء ودي بين روحك القديمة والتي انت فيها الان، الاعتزاز بالذات ليس "انا" ولا "الهو" ، اجعل نفسك مطمئنة دائماً، لا تعتقد انك تجربة "فرويد" الوحيدة، او ان كل ما تحدث به " جون ديوي" يخصك، عش حياتك كما هي.

تأكد يا عزيزي أن الاشياء لا تأتي صدفة، كل الاشياء الجيد منها والسيئ، ما نحب وما نكره، تأتي بتوافق كوني، فكل مرحلة من عمرك هي دنيا انت تصنعها بنفسك.

احياناً يصبح الضغط اكبر من ان تتحمله زجاجة، فتراها تتشظى الى قطع صغيرة، كلها تخدش إذا لم تكن تجرح وبعمق.

كنا أخف من الريشة التي يحملها ريح الخريف في سذاجتنا، لكننا كلما زادت معرفتنا بالأشياء وغصنا بجوهرها وجدنا ما كنا نتمنى ألا نجده، أما حذرنا ربنا سبحانه من ان نسأل عن أشياء إن تُبدَ لنا تسؤنا؟

لكن الإنسان بطبيعته الجدلية يهوى الظن والقصص التي يختلقها عقله، ليست المعرفة طريق نسلكه، لكنه عطش عقلي يرتوي بمأساة ما نخوض.

إن التصور الأولي يا عزيزي لكل الاشياء جميل وممتع للنظر قبل الدخول فيه، الاشياء اجمل من الخارج لمن اراد ان يراها هكذا دون البحث عن جوهرها، وهنا اتقاطع معك، في كون الأشياء ألذ من غير قشور، وان الجوهر الذ طعماً.

الناس ترى لكن ليس جميعهم يبصرون فهناك الكثير من المفاهيم الخاطئة التي تمتعض او حتى تستشيط غضباً اذا ما سمعنا الناس تتناولها بالمجمل دون معرفة، لُبُّ الجوز احياناً يقف في المريء فيقتل صاحبه.

اعجبتني تصوراتك للأشياء وعمق ما فيها، ويبقى تساؤلاً اذا ما عدت من غيبوبتك اسألك اياه، لماذا أنا؟ لماذا كل هذا الحب لي؟ وكيف لي أن احتل مكانة الأم العظيمة في داخلك؟

كيف تصور لنفسك والتيار يسري في جسدك المنهك؟ انني اتيت لك بقهوة وانا التي كنت أشعل النار في رأسك.

في اللاوعي نكون اصدق مشاعراً، واعظم انسانية، إدراكنا ووعينا يحول دون ذلك اللطف الذي تنعم به ارواحنا، نعم، في احدى الروايات التي احب قراءتها كثيراً، حوار جميل احفظه.

ترد فيه الخادمة على رب المنزل الثمل عندما سألها ألا تخافين أن اتحرش بك جسدياً؟

ضحكت ثم ردت عليه : "لقد قرأت أننا عندما نغيب عن الوعى تتحكم فينا قوى أعظم وأصدق لا تكذب أبداً، لأننا ببساطة نكون فاقدين السيطرة عليها ..

كل شيء فقد الإنسان السيطرة عليه لا يكذب ..

كل حماقات العالم جاءت من الكذب باسم الوعي يا سيدي ..

أنتَ فى ثمالتك أصدق من كل الأكاذيب الطى رأيتها من أناس يكذبون باسم الوعي ".

صدقاً انك رغم الثمالة المرضية التي تعاني منها الا انك اصدق من كل الأكاذيب التي عشتها او سمعتها.

ان ما يحدث من إرهاصات نفسية ما هو إلا زيادة في المعرفة فترى ما لا يراه غيرك، وليس من الممكن أن تغير مجتمعات، لكن بمقدورك على الاقل ان تسعى لذلك ولو بفرد واحد.

أصنع لك هالة من الصدق ستجلب لك الرضا، أما الناس فلا تأبه لاجتماعهم على خطأ، رضوا بعقولهم واعترضوا على أرزاقهم، ولايتوجب عليك ان تضئ المكان كله، يكفيك ان تكون شمعة او بصيص ضوء يُستدل بك.

لا استطيع ان اكمل، اكتب وانا في حالة غريبة، خليط من مشاعر لا اعرف فصل بعضها عن الاخر، اشعر بانهيار، سأخرج الى البيت علّي ارجع غدا بأفضل مما انا عليه الان.

صباح الخير ايها الفارس المكبل بالأغلال والوجع، ايها النقي حد الذي ارى من خلالك الاشياء اكثر وضوحاً، لم اتكلم منذ أن تركتك ليلة البارحة مع احد، ملأت عقلي بالمعاني الجميلة، لم اكن اعلم اني بهذا الحد من الجمال، وانني امتلك بعداً رابعاً لم اراه من قبل او حتى اشعر به، سأستمر بما بدأته انت، وحين تصحو من مرقدك هذا، سأكون شريكتك في المذكرات، سأناقش كلماتك وأجيب عن أي تساؤل فيها.

اريد ان اعرف بربك، كيف استطعت ان تقسم انني كذلك؟ كيف لك أن تُحب انسانا لم تكلمه او تعرفه من قبل؟ أي حالة كنت تعيشها؟ واي شعور ذلك؟ بماذا كنت تشعر وقت كتبتها؟ وهل كانت حقاً رؤيا أم هي من خيالك لترضي بها حاجتك لي؟

آه، يا ايها الرجل كم شغلتني في هذين اليومين واخذتني من نفسي لعالم لم اكن اعرفه من قبل، كم التساؤلات التي زرعتها في نفسي لا اجابة لها الا حين احادثك وا قرأها بعينيك.

ثمة صراعات في داخل كل منا، حقيقة لا يعرفها احد، سر دفين لا يمكن افشاءه، يتكور على بعضه ويصبح أشبه بخيوط متشابكة فتنتج عُقد كبيرة لا يمكن حلها، لكننا لو أخذنا مغزلاً وطرف خيط منها

وبدأنا بالغزل، سنرتب الخيط على شكل متسلسل منظم وتبدأ العقد تفك نفسها تباعاً من الاصغر الى ان نحل اكبرها.

لا تبقي هذا الكم من التشابك والفوضوية الفكرية في داخلك، هناك على الأقل شخص يسمعك بقلبه، تأتمنه على خيوطك، يرتبها دون ان يقطع ويصل، لا تعتقد جزماً ان هناك مشاكل لا يمكن حلها، فهذا المعتقد ينافي المنطق الثنائي الكوني، فلو لم يكن حل من اين اتى مصطلح مشكلة، إذن مع كل مشكلة أيّ كان حجمها هنالك مفتاح لها، هناك شخص له الامكانية في سبر أغوارها، يأخذك من يدك ليصل بك الى بر الأمان.

لا يتوجب عليك ان تحتفظ بما يعيق حياتك ويكون غصة في صدرك، تثقل كاهلك وتعيق ديمومتك، فهذا ايذاء للنفس قاصداً اياه، هذا ان كان الشيء يعنيك وحدك، فكيف إن كان يعني من يرتبط بك، تحمل وزرك ووزر من معك.

سيأتي اليوم الذي تسلم للأفكار وتؤمن بالحلول البديلة، لكن احذر ان تصل متأخراً، فثمة وقت لا يغني فيه ان فردنا الخيط على طوله او بقي متشابكاً لا رأس له، ككرة من الصوف دحرجتها قطة و تشابكت خيوطها.

إننا حين نرى الأشياء بوضوح، نتمكن منها، لا تتمكن هي منا، ما لا نستسيغه نتركه، لا داعي ان نأخذه معنا في عقولنا ونعطيه اكثر مما يستحق.

كل الأفكار ونتاجاتها، ستأخذ مكانتها حسب ما ترتقي انت بمعرفتك، الاشياء من حولنا تتنفس لكننا لا نسمع أزيز انفاسها تحت وطأة الالم او تناهيد فرحتها، عامل الناس عموماً كأنهم اعلم منك، وناقش بمستواك، وجادل الأعلم منك، الجدلية سمة المتعلم المجتهد، لا أعني الجدلية الفوضوية بذلك.

ابحث في جوهر نفسك اولاً ستجد نور الله الذي نُفخ فيك.

ولا عزاء إذا ما تراكمت عليك غيوم الألم وامطرت سحبها بعض الأوجاع، انت أرض تتعطش وتحتاج لماء المطر كي تنبت عشب ربيعها وزهوره.

الصدمات وان كانت الكلمة اقسى من كونها مجرد كلمة، فقد أُخذت من صلابة الجدران الا انها اصبحت مصطلح عام، الصدمات او الانتكاسات او دعنا نسميها بمنطق الفرسان الكبوات، هي أشبه بالتيار الكهربائي المحفز للدماغ، يمر بك فيهتز له سائر جسدك، يربّت على كتفيك، ثم يدوزن اوتار عقلك على موسيقى اجمل من معزوفتك التي سبقت هذه الأحداث كلها، ليس عيب ان تشعر بحالة

من الاعياء، او ان تذهب الى من تستطيع ان تبوح له بالجزء الخفيّ من حقيقتك.

سالت احد مرضاي ما الذي تعانيه، قال: كذا وكذا، قلت له : كم نسبة ما تستطيع اخباري به عن حياتك،

قال : ثمانون بالمئة،

حينها ابتسمتُ له، ثم قلت بصوت دافئ يجعله يشعر بالأمان ما تستطيع محادثتي وغيري به اتركه لك، حدثني عن العشرين بالمئة التي تختفي ورائها سعادتك ونجاحك.

نعم هناك جزء لا يمكننا التحدث به، لا يمكن البوح به اطلاقاً، نحن احياناً لا نمتلك الشجاعة أو الجرأة ان نتحدث لشخص ما عما نشعر به لكننا نبقى ندندن حولها، لكن هناك شخص واحد يسمعنا دون ان نتحدث، يفهمنا حتى وان اغمضنا اعيننا، يفهم ما نريد قبل أن نطلب، ويحقق لنا الامنيات حتى قبل أن تخطر ببالنا، واحد فقط في الكون يكون لك أُمة.

رغم ما أحدث به مرضاي لإقناعهم بالبوح، إلا أنني أؤمن بأننا لا نستطيع ان نصرح بكل ما نشعر به، فبعضه ولد ليموت داخلنا، وبعضه لا نستطيع ترجمته الى كلام بشري، فالبشر يسمعون ما يعنيهم، لكنني أؤمن ان كل منا هو أعلم بما فيه، فلا نطبق قوانيناً نحن وضعناها

على أي شخص يصادفنا، نتهمه بالهشاشة والضعف، قد يبتلينا الله بما ابتلاهم.

الضعف لم يأتِ من فراغ ولسنا بحاجة لكلمات مفعمة بالطاقة الايجابية وتفريغ الشاكرات السبع، إذا ما الوقت أزف، الذي يسبق هذا الانهيار كله، هو الوقت الذي كنا فيه على مقربة من " جرف هارٍ" فلم يتمسك بنا أحد، كنا بأمس الحاجة ليفهمنا احدهم على الاقل او يحمل عنا آخر، " فأنهار من حولنا"، كان هناك حتماً سبب يزول كل شئ بزواله، ضغط مسلط كأنه سيف محموم تقترب ذبابته من الحناجر، كم يصارع الإنسان أشياء لا يعلمها إلا هو، "وتراهم سكارى وما هم بسكارى" تراهم يبتسمون لا تعلم انهم يمطون شفاههم وجعاً، فمن ذا الذي يأتيك دون دعوة منك فيسحب من قلبك كل الخيوط السوداء بلمسة حب دافئة.

ان تجد انساناً تمزح معه بكل عفوية، وتتحدث اليه بجدية عن اعمق ما فيك، تمسك به جيداً فهذه نسخة خلقت من ظلال روحك، لا تغادرها، تحمل اقسى عيوبها، لكن تمسك بها فهي من ينقذك إذا ما تخلى الكل عنك.

رغم هذا الا اني مؤمنة جداً بما يعتقده شكسبير في احدى نصوصه المسرحية حيث قال :"الجزء المحذوف من كلماتنا، النظرة التي نحتفظ بها في داخلنا، الأحلام التي لا نخبر عنها أحد، هي نحن في الحقيقة".
أرأيت يا علي؟
ها انا اعلم المرضى البوح لكنني مؤمنة بالقليل الذي نحتفظ به دون أن يعلم به غيرنا، ويبقى في داخل كل منا جزء لا يعلمه الا صاحبه.
هذه الحقيقة التي لا مناص منها، حاول انقاذ نفسك بنفسك، كن طبيبها انت، لاتصل الى نهاية الطريق المغلق الذي لا رجعة فيه، عندما تفيق من غيبوبتك سأعلمك كيف تجعل حياتك أعظم ما تسعى إليه، وأن سعادتك هي الاهم، وكيف تتجرد من كل ما شأنه تثبيط عزيمتك، سأعلمك يا عزيزي كيف تبتعد عن الناس المحبطين، انت الاعلم بما تتجه نحوه، ولا تنسى ان الذي يحيط بك هو التوفيق الإلهي.
كن رائعاً امام مرآتك اولاً، اعجب بنفسك واعلم انك من افضل المخلوقات وأعظمها امكانية، جمل افكارك قبل مظهرك امام الشخص الذي يراك بأسوأ حالاتِك انك الأكمل.

صدقاً اكتبها لك وكم اتمنى بهذه اللحظة ان تكون جالساً امامي ونتحدث عين لعينٍ، لطالما بحثنا عن حالات النفس السيئة، القلق، الكآبة، الحزن، ومثل ذلك كثير، وأسبابها ودوافعها، تعلمنا كيف

نعالجها، او على اقل تقدير، كيف تخفف من وطأتها ، لكن يبقى هناك ثمة شيء لم ندرسه، لم نعطه حقه، في حين هو أعظم ما يجزي به الله سبحانه عباده في الدنيا، اتعلم ما هو يا حبيباً لم أحادثه إلا بالحروف، البال يا علي ، تجيبني أنت عنه.

لا تتأخر في نومتك العميقة يامن صنعت من ركامي غراديفا، يامن احييت غرور انوثتي، وجعلتني أراني في مرآتي غير الذي كنت اراه من قبل.

لأول مره اكتب بهذا الشغف، لأول مرة أتحدث بصمت امام رجل واشعر بأنه قد سمع صوتي قبل النبرة، ومسح دمعتي قبل ان تذرفها عيني. ويبقى السؤال هل يمكن أن نحب بعد فوات الاوان؟

ولماذا أنا من بين الكل؟ أي اختلاف رأيته فيّ لتحبني؟

اغادرك الان وكلي امل ان احادثك غداً شفة لشفه، كلي تفاؤل ان اجلس امامك واسالك عما يدور بخلدي، في رأسي ألف لماذا ولماذا؟ اراك غدا وانت بأحسن حال.

بعد اكثر من سبعين يوماً وانا...
احاولُ عبثاً لملمة شتات عقلي ...اتظاهر للناسِ اني على قيدي ...
وانا على قيدكَ ورسيس الهوى لم يبرح قلبي.

لمَ تعلقت بك لهذا البعد؟ واي الم هذا الذي كان يعصف بك لتكتب هذا الكم من المعاناة بعد كل جلسة كهربائية وبعد انتهائها بالضبط، بالوقت والتاريخ، تكتب اوجاعك غزل، من أي الملائكة انت؟ لا يمكن أن تكون من جنسنا البشري !

من قال انك مريض نفسي، نحن مرضاك اقسم لك ،كنت أنا من اسوقك لغرفة الكهرباء، كنت تمشي بجانبي بخطى واثقة انيقة كفارس يترجل من مهرته ويقودها الى جانبه، كنا نمشيها خطاً مثقلة على طول الممر من غرفتك حتى غرفة الجلسات، لم انتبه لأناقتك وهدوئك العذب وانت تسمع صرخات المرضى في غرفة الصعق، تنتظر دورك بكل هدوء وسعادة وكأنك تنتظر لقاء الحبيبة، لطالما رأيتك تترقب دورك وابتسامة الرضا تعلو وجهك ، في احدى الجلسات كنت تصرخ، لأنها كانت قاسية وفي كل مرة كنت تمسك يدي وكأنك طفل يتشبث بيد أمه لعل الالم يستحي اذا ما لمس الطفل يديها، لم اكن معك في الجلسة الاخيرة، ترى من مسك يدك وانت تحت وطأة الألم؟ ما حجم

ما عانيته قبل أن تنهار وتسقط؟ لِمَ لم ادخل غرفتك بعدها لأرى اجنحتك؟ انت لست من بني البشر أيها الملاك الطاهر.

مات المريض "علي كمال" بعد كل ذاك الالم، توفى الله نفسه وسقط جسده المنهك في باطن الأرض، لم يبق منه إلا روحه، لم يبقى منه الا تناغمه مع الورق ليكتب لي فقه الكلام بلا شفاه، والصراخ بدون صوت.

منذ أكثر من شهرين ونصف الشهر وانا احاول بكل ارادتي، ان استوعب انك قد متّ، لا تعلم مدى خيبتي حين دخلت المكان فوجدته يبكي على فقدك.

انا افتقد صورتي بعينيك، أخاف المضيّ مع الأيام، أخاف فكرة ان أمضي دونك، أن أستمر بصورتي التي خلقتها انت في مخيلتي، دون ان تكتب لي مجدداً.

تُفزعني فكرة أن يغمر الزمن وجهك في داخلي، أحييتني ومتّ انتَ، احببتني بكل ما في الإنسان من حب، وكنتُ اقف مكتوفة الايدي امام عذاباتك، ستبقى روحي معلقة بين حنين لا اعلم جهته وإشتياق لا لقاء يروي ضمئه، ويظل قلبي يكوى بجمر حروفك.

ليتك تعود لساعة، ساعة واحدة فحسب، لا خبرك بأنني ..
مات علي كمال...
مات وترك خلفه اجمل ما قرأت في حياتي.

- انتهى-